

أحسن الوصلي

قطوف الأغانى

نهج جديد في ترتيب كتاب « الاغانى »
الشهير لأبى الفرج الاصبهاني ، لم يُحذف
منه إلا الاسنادات والتعريف بالأطان
والقصص والأشعار المنافية للآداب .

وقف على شرحه وتحقيقه

الاستاذ كرم البستاني

أبو الفجج الأصبراني

أحمد الموصلي

مكتبة صَادِر
بِيرُوت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٧١ - ١٩٥١

أخبار إسحاق بن إبراهيم

الموصلية

نسبه وكنيته

يكنى أبا محمد ، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان ، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن مَرْحَأ .

موضعه من العلم والادب

وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومجته من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أشهر من أن يُدَلَّ عليه فيها بوصف ؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه ؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظرًا وإكفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنه ليجتنب من مضى فيه وسبق من بقي ، ولجذب الناس جميعاً طريقته فأوضحها ، وسهل

١ لحب الطريق : سلكه وأوضعه .

عليهم سبيلته وأثارها ؛ فهو إمامٌ أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلمهم ؛
يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ الْخَاصُّ وَالسَّامُّ ، وَيَشْهَدُ بِهِ الْمَوَافِقُ وَالْمُفَارِقُ ١ .
على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو
يُسمّى به . وكان يقول : لو دِدْتُ أَنْ أُضْرَبَ ، كَمَا أَرَادَ مَرِيذٌ مِنِّي
أَنْ أُغْنِيَ وَكَمَا قَالَ قَائِلُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ الْمُغْنِي ، عَشْرَ مَقَارِعَ ،
لَا أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأُعْفَى مِنَ الْغِنَاءِ وَلَا يَنْسُبُنِي مِنْ
يَذَكِّرُنِي إِلَيْهِ .

وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به
عندهم من الغناء لوليتُه القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق
وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة .

روايته للحديث

وقد روى الحديث ولقي أهله : مثل مالك بن أنس ، وسفيان
ابن عيينة ، وهشيم بن بشير^٢ ، وإبراهيم بن سعد^٣ ، وأبي معاوية
الضري^٤ ، وروح بن عبادة^٥ ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

١ يريد الصديق والعدو .

٢ هو هشيم بن دينار السلمي ويكنى أبا معاوية .

٣ هو إبراهيم بن سعد الزهري ويكنى أبا إسحاق .

٤ اسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد .

٥ هو روح بن عبادة القيسي ويكنى أبا محمد .

وكان مع كراهته الغناء أضنّ خالق الله وأشدّهم بُخلًا به على كل
أحد حتى على جواربه وغلمانه ومن يأخذ عنه مُنتسبًا إليه مُتَعَصِّبًا
له ، فضلًا عن غيرهم .

تصحيحه لأجناس الغناء

وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقه وميّزه تمييزاً لم يقدر عليه
أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا
الجنس ، إنّما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والحفيف ، وتخفيف
الحفيف .

وهذا عمرو بن بانه ، وهو من تلاميذه ، يقول في كتابه : الرمل
الأوّل ، والرمل الثاني ؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى
والبنصر ، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثل ما
ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر
في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان
بالسبابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه
المرتبة ؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي
ذكرناه ، والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، وأجراه
المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميع الطرائق
والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب .

ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه ؛
فقد ألّف جماعةٌ من الفنّين كتباً ، منهم يحيى المكيّ ، وكان شيخ
الجماعة وأستاذهم ، وكلّشهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ،
وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنةٌ متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع
يضطّران إلى الأخذ عنه ، ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق
فيه ابنه الغناء المُحدّث إلى آخر أيامه ، فأثبت فيه في أمر الأصابع
بتخليطٍ عظيم ، حتى جعل أكثر ما جنّسناه من ذلك مختلطاً فاسداً ،
وجعلاً بعضه ، فيما زعمنا ، تشترك الأصابع كلّها فيه .

وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَمّا احتيج إلى تمييز الأغاني
وتصويرها مقسومةً على صنفين : الوسطى والبنصر .

والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته في رسالة
عملتُها لبعض إخواني ممن سألني شرحَ هذا ، فأثبتته واستقصيته استقصاءً
ليستغنى به عن غيره .

وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى أتى على كل ما
رسمته الأوائلُ مثل إقليدس وممن قبله وممن بعده من أهل العلم
الموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفتوا فيه الدهور ، من غير
أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال :

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فسأل إسحاق الموصليّ ،

الحديث لجمفر بن قدامة .

أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب ، بحضرتي ، فقال له : يا أبا محمد ،
أرأيت لو أنَّ الناس جعلوا للعود وترّاً خامساً للنسفة الحادة التي هي
العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟

فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً ، واحمرّت أذناه وكانتا
عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثر ولوعه بهما ؛
فقال لمحمد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون
بالضرب . فإن كنت تضرب أريتك أين تخرج !

فخجل وسكت عنه مُغضباً ، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب
بما لا يحسن ، فجلّم عنه .

قال عليّ بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إنَّ هذا
الرجل سأني عما سمعت ، ولم يبلغ علمه ان يستنبط مثله بقريحته ،
وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أن التراجمة عندهم
يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه .
فوعده بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها .

وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنه من
أعجب شيء يؤثّر عنه : أنه استخرج بطبعه علماً رسمته الأوائل لا
يُوصّل الى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما
بعده من الكتب الموضوعّة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه
واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يشدّ عنه شيء يحتاج
إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عرفه ، ثم تبيّن بعد هذا ،

بما أذكره من أخباره ومبجزائه في صناعته ، فضله على أهلها كالكهنة
وتبشّره عنهم وكونه سماءً هم أرضها ، وبجراهم تجد أوله .

ام اسحاق وجنسها

وأمّ إسحاق امرأة من أهل الريّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنها
دُوسار التي كانت تُغني بالدّف ، فهويها إبراهيم وتزوجها . وهذا
خطأ ، تلك لم تد من إبراهيم إلا بنتاً ، وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من
شاهك هذه .

منهاج دراسته

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم عن إسحاق قال :
بقيتُ دهرأ من دهري أغلس^١ في كلّ يوم إلى هشيم فأسمع منه ،
ثم أصير إلى الكيسائيّ أو الفراء أو ابن غزّالة فأقرأ عليه جزءاً من
القرآن ، ثم آتي منصورَ زلز فيضاربني طرّقين^٢ أو ثلاثة ، ثم آتي
عازكة بنت سُهدة^٣ فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ

أغلس : آتي في الغلس وهو ظلمة آخر الليل .

الطرق : صوت أو نعمة بالعود ونحوه .

احدى المغنيات الحسنات .

وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير الى أبي فأعلمه
ما صنعتُ ومن لقيتُ وما أخذتُ وأتفدني معه ، فإذا كان العشاء
رُحْتُ الى أمير المؤمنين الرشيد .

زلزل يعلمه

أخذ مني منصورُ زلزل إلى أن تعلمتُ مثلَ ضربه بالعود أكثر
من مائة ألف درهم .

تقدير ابن عائشة والمأمون له

كنتُ^٢ عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي ،
فرحّب به وقال : ها هنا يا أبا محمد إلى جنبي ، فلئن بعدتُ بيننا
الأنساب ، لقد قرّبتُ بيننا الآداب .

حدثنا^٣ ابن شبيب من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً ، وإسحاق
غائبٌ عن مجلسه : لولا ما سبق على السنة الناس واشتهر به عندهم
من الغناء لوليتُهُ القضاء ، فما أعرف مثله ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً .
هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته .

١ الحديث لإسحاق .

٢ الحديث لأحمد بن خزيمة .

٣ الحديث ليزيد بن محمد المهدي .

تقصيه للحديث

سمعت إسحاق الموصلي يقول :

صرتُ الى سُفيان بن عُيينة لأسمع منه ، فتعدّر ذلك عليّ وصعبَ مرامُهُ ، فرأيتُه عند الفضل بن الربيع ، فسألته أن يعرفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليّ بجديتي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحمّلتِهِ .

قال : فقلت : تفرضُ لي عليه ما يحدثني به .

فسأله في ذلك ، ففرض لي خمسة عشرَ حديثاً في كل مجلس ؛ نصرتُ إليه فحدثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدثتني به ؟

قال : نعم ؛ وعقد بيده شيئاً

قلت : أفأرويه عنك ؟

قال : نعم ؛ وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون

حديثاً ؛ وضحك إليّ وقال : قد سرّني ما رأيتُ من تقصّيبك في الحديث وتشدّدك فيه على نفسك ، فصرّ إليّ متى سنّت حتى أحدثك اسنّت .

الحديث للمخرمي عن أبيه .

اسحاق والضرير

جئت^١ يوماً الى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث ، فوجدت حاجبه يومئذ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنَّ أبا معاوية قد ولاّني اليوم حجّبتَه لينفَعني .

فقلت : معي مائة حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتها . فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأت ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا .

ثم أقبل عليّ يُوعِظُني في الإحسان اليه ويذكر ضعفه وعنايته به . فقلت له : احتكّم في امره .

فقال : مائة دينار ؛ فأمرت بإحضارها الغلام ، وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت .

من ماله ومن أدبه

وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المدائنيّ ، فقال له : الى أين

يا أبا عبد الله ؟

١ الحديث لاسحاق .

فقال : أمضي الى رجل هو كما قال الشاعر

نَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ
نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ ، وَمِنْ أَدَبِهِ

فقال له : وَمَنْ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟

قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصللي .

قال أبو بكر : والبيت لأبي تمام الطائي .

وكان إسحاقُ 'مُجْرِي عَلي ابن الأعرابيِّ في كلِّ سنة ثلثمائة دينار ،
وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النواجر كتبه له بخطه ؛ فمرَّ
ابنُ الأعرابيِّ يوماً على باب دار الموصلليِّ ومعه صديق له ؛ فقال له
صديقه : هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق .

فقال : هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

يرث الشعر من جرير

رأيت في منامي كأنَّ جريراً جالسٌ يُنشدُ شعره وأنا أسمع منه ،
فلما فرغ أخذ بيده كُتْبة شعر فألقاها في فمي فابتلعها ؛ فأول ذلك
بعضٌ من ذكرته له الله ورثني الشعر .

١ الحديث لإسحاق .

قال يزيد بن محمد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر
أهل زمانه .

بذله المال لززل

قال لي أبي^١ : أعطيتُ منصور زلزل من مالي خاصة حتى تعلمتُ
ضربَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من
الخلفاء ومن أبي .

قال : وكانت في زلزل ، قبل أن يعرف الصوت ويفهمه ، بلادة
أول ما يسمعه ، حتى لو ضرب هو وعلامه على صوت لم يعرفاه قبل
لكان علامه أقوى منه ؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق
به أحد البتة .

أجازته لبيت ارتجالاً

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن إسحاق قال :
قال لي أبو زياد الكلابي : أو لم جار لي يكنى أبا سفيان وليمة
ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي :

١ الحديث لحماد بن اسحاق .

إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ لَيْسَ بِمَوْلٍ
فَقُومِي فَهَاتِي فَلْتَقَةَ مِنْ حُورِكَ^١

قال اسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟

فقال : لا ، إنما أرسلته يتيماً .

فقلت : أفلا أُجيزه ؟

قال : شأنك .

فقلت له :

فبَيْتِكَ خَيْرٌ مِنْ بُيُوتِ كَثِيرَةٍ ،
وَقِدْرُكَ خَيْرٌ مِنْ وَلِيْمَةٍ جَارِكِ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأمي ، جئتَ والله به
قَبلاً^٢ ما انتظرتَ به القَرَبَ^٣ ، وما أَلُومَ الخليفةَ أن يجعلك في سَمَّارِه
ويتملِّحَ بك ، وإنك لمن طرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثله ، ولو كان
الشباب يُشترى لابتغته لك بإحدى عينيَّ ويُمسِنِي يديَّ ، وعلى أن
فيك بحمد الله ومَنِّه بقيَّةُ تسرِّ الودود ، وترغيمِ الحسود .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عمَّار فقال :

-
- ١ الفلقة : القطعة . الحوار : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يقطع ويفصل .
 - ٢ القبل : الأرتجال وهو ان يتكلم أحد بكلام لم يكن قد أعده
 - ٣ كنى بالقرب عن انه جاء بالكلام عفو الخاطر دون ان يسمى في طابه

قالت امرأة القَتال الكلابي له : هل لك في فلقة من حُوار
نطبخها لك ؟

فقال : لا والله ، نحن على وليمة أبي سفيان ودَعَوته .
وكان أبو سفيان رجلاً من الحبيّ زفّت إليه امرأته تلك الليلة ؛
فجعل ينظر دُخاناً فلا يراه ، فقال :

إنّ أبا سفيان ليس بموليمٍ
فقومي فهاتي فلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله .

اسحاق والاعرابي

أنشدت^١ أعرابياً فهِمّاً شعراً لي ، فقال : أقفرتَ والله يا أبا محمد .
قلتُ : وما أقفرت ؟

قال : رعيتَ قَفْرَةَ لم ترَعِ قبلك . يريد : أبدعتَ

دقة فهمه للغناء

حدّثني^٢ بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال : سمعتُ إسحاق
الموصليّ يقول :

١ الحديث لاسحاق .

٢ الحديث للمبرد .

دخلتُ على المأمون يوماً وعقيدٌ يغنيهِ ارتجالاً وغيرُهُ يضرب
عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنيينا هذا ؟

فقلتُ : هل سأل أميرُ المؤمنين عن هذا غيري ؟

قال : نعم ، سألتُ عمي إبراهيمَ فوصفه وقرّظهُ واستحسنه .

فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ،
إن الناس قد أكثروا في أمري حتى نسبتني فرقة إلى التزيُّد في علمي .

فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك .

فقلت لعقيد : ازدُد هذا الصوت الذي غنيته آنفاً ، وتحفظُ فيه .

وَضَرَبَ ضارِبُهُ عليه ؛ فقلت لابراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَهُ ؟

فقال : ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعته .

فأقبلتُ على عقيد فقلتُ له حين استوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا

الصوتُ الذي غنيته ؟

قال : في الرّمَل .

فقلت للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنتَ ؟

قال : في الهزّاج الثقيل .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسيتُ أن أقول في صوت يغنيهِ مغنيهِ

رَمَلاً ويضرب ضاربُهُ هزّاجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي

ضرب عليه !

قال : وتفهمه إبراهيم بن المهديّ بعدي ، فقال : صدق يا أمير المؤمنين ،

الأمرُ فيه الآن بيّن .

فغاظني ، فقلت له : بأيّ شيء بانّ الآن ما لم يكن بيننا قبل ؟
أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا ! وإنما قلتها لما علمته من جهتي كما يقوله
الغلمان العُجُوم وسائر من حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي .

فقال له المأمون : صدق .

فأمسك ؛ وجعل يتمجّب من ذهاب ذلك علي كل من حضر ، وكتّاني
في ذلك اليوم مرتين .

يعجب بشعره

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال :

ان الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه خُزَيْمَة بنِ خازم^١ :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبِي ،
ودافعَ كَصِيمي خِزَامٌ وابنُ خازمِ

عَطَسْتُ بِأَنْفِ شامخ ، وتناولتِ
يَدَايَ الثَرِيّا قَاعِداً ، غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَبُ منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك
يذكرهما ويفضّلهما .

١ هو أحد اشراف الدولة العباسية .

سبب توليه خازماً

قال ابن حمدون : وكان السبب في تولي إسحاق خازم بن خزيمة ابن خازم ، أن مناظرة جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلت له يا بن ... لم أخف أن يكذبني أحد .

فمضى الى خازم بن خزيمة ، فتولاه وانتمى إليه ، فقبيل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

المعتصم يمتحنه بصوت

قال إسحاق : كانت عندي صنّاجة^٢ كنت بها مُعجَباً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا ببابي يدقّ دقاً شديداً ، فقلت : انظروا من هذا .
قالوا : رسول أمير المؤمنين .

فقلت : ذهبت صنّاجتي ، تجدهُ ذكراً له ذاكرٌ فبعث اليّ فيها .
فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مُشخّن^٣ ، فدخلتُ

١ تغالظا : تعاديا وتشاتما .

٢ الصنّاجة: الضاربة بالصنج، صفيحة مدورة تتخذ من نحاس يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

٣ مُشخّن : مهموم محزون .

فسلمتُ، فردَّ السلام ، ونظر الى تغيّر وجهي فقال : اسكن ،
فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لمن هو ؟
فقلت : أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك .
فأمر جاريةً من وراء الستارة ففحّته وضربتُ ، فإذا هي قد شبّهته
بالقديم .

فقلت : زدني معها عوداً آخر فإنه أثبت لي .
فزادني عوداً آخر؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحدّث
لامرأة ضاربة .

فقال : من أين قلت ذلك ؟

فقلت : لما سمعته وسمعت لبيته عرفت أنه من صنعة النساء ؛
ولما رأيت جودة مَقاطعه علمت أن صاحبه ضاربة .

فقال : من أين قلت ذلك ؟

فقلت : لأنها قد حَفِظت مَقاطعه وأجزائه ، ثم طلبتُ عوداً آخر
ليكون أثبت لي فلم أشككُ

فقال : صدقت ، الغناء لعريب

لحن رومي في شعر عرب

حدّثني^١ مُخارقُ مولانا قالت

كان لمولاي الذي علّمني الغناء فرّاشٌ روميّ ، وكان يغنّي بالرومية

١ الحديث لاسحاق الطاهري .

صوتاً ملبح اللحن؛ فقال لي مولاي: يا بخارق، خذي هذا اللحن الرومي
فانقلبه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي
فأعلم أين يقع من معرفته .

ف فعلت ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبس مولاي، فأقام وبعث
إلي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك، ففنيته إياه في درج
أصوات مرت قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهمه ويقتسمه
ويتفقد أوزانه ومقاطعته ويوقع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال:
هذا صوت رومي اللحن، فمن أين وقع إليك؟

فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئاً أحسن من استخراج
لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلة فيه، وقد نقل إلى غناء عربي وامتزجت
نغمته، حتى عرفه ولم يخف عليه .

يقدم زلزلا على ملاحظ

تناظر المغنون يوماً عند الواثق، فذكروا الشراب وحذقهم،
فقدم إسحاق زلزلاً على ملاحظ، وملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛
فقال له الواثق: هذا حيف وتعد منك .

فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإن
الأمر سينكشف لك فيهما .

فأمر بهما فأحضرا؛ فقال له إسحاق: إن للشراب أصواتاً معروفة،
أفأمتحنهما بشيء منها؟

قال : أجلٌ ، افعِلْ .

فسمى ثلاثة اصوات كان اولها :

عَلَّقَ قَلْبِي ظَمِيمَةَ السَّيْبِ ١

فضربا عليه ، فتقدّم زلزل وقصر عنه ملاحظ ؛ فعجِبَ الواثق من كَشَفِهِ عما ادّعاه في مجلس واحد .

فقال له ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ! ولم لا يضرب هو !

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يكن أحد في زماني أضربَ مني إلا أنكم اعفيتُموني ، فتفَلَّت منِّي ؛ وعلى أن معي بقيةٌ لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحِظ ، شوّشُ عودك وهاته .
ففعل ذلك ملاحظ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلِّط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألُو ما أفسدها .

ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف موافقه ، ثم قال : يا مُلاحِظ ، غنّ أي صوت شئت .

فغنّى ملاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرَةِ

١ السيب : كورة من سواد الكوفة ، ونهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم

واحدة ، ويَدُهُ تصمَد وتتحدر على الدساتين^١ ؛ فقال له الواصلق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ! اطرح هذا على الجواري .

فقال : هيات يا أمير المؤمنين ، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهنّ ، إنما بلغني أن الفهليذ^٢ ضرب يوماً بين يدي كِسرى فأحسن ، فحسده رجل من حذاق أهل صنمته ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان^٣ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال : « زِه^٤ وزِه^٥ وزهان زِه^٦ » ، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من مخاطبه هذه المخاطبة .

فلما تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي ورؤيتها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ؛ فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الارض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نعمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلها منه فيها ، من اعاليها الى اسافلها ، وكل شيء منها يجانس شيئاً غيره ، كما أعرف

١ الدساتين : ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه ، وهي كلمة فارسية ، وتسمى العرب ذلك : العتب .
٢ الفهليذ : عواد كسرى .
٣ كلمة فارسية ومعناها : أحسنت أحسنت .

ذلك في مواضع الدساتين ؛ وهذا شيء لا تفني به^١ الجواري .
قال له الواثق : صدقت ، ولئن مت^٢ لتموتن^٣ هذه الصناعة معك ؛
وأمر له بثلاثين ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

عُلِّقَ قلبي ظيية السَّيبِ ،
جهلاً ، فقد أغري بتعديبي

نَمَّتْ عليها ، حين مرّت بنا ،
مَجَاسِدُ يَنْفَعِحُنْ بالطيب^٢

تَصُدُّهَا عَنَّا عَجُوزٌ لها
مُنْكَرَةٌ ، ذاتُ أعاجيب^٣

فكُلِّمًا هَمَّتْ^٤ بآتيانها
قالت : تَوَقَّيْ عَدُوَّةَ الذِّيبِ^٤

الشعر والغناء لابراهيم .

١ لا تفني به : لا تأتي به وافياً .

٢ المجاسد ، واحدها مجسد : القمصان المصبوغة بالجسد اي الزعفران .

٣ منكرة : مبغضة مكروهة .

٤ همت بآتيانها : نويته وأردته ، اصله همتت حدثت احدى ميميه للتخفيف

مخله بالغناء

حدثتني ادمن جارية إسحاق الموصلي ، وكانت من كبار جواريه وأحظى من عنده ، ولقيتها فقلت لها : أي شيء أخذت عن مولاك من الغناء ؟

فقلت : لا والله ما أخذت أنا عند ولا واحدة من جواريه صوتاً قط ! كان أبجل بذلك ، وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مشيخن سكرأ ، فدخل إلى بيت كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده ، وقال لخادمه : يا غلام ، صح لي بدمن ، فجاءني الغلام فخرجت ، فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده ، وقد اسحنفر^٢ في نغمه وتنوق^٣ فيها حتى استقام له ، وهو :

ألا ليك لا يذهب ؛
ونيط الطرف بالكوكب ؛

وهذا الصبح لا يأتي
ولا يدنو ولا يقرب

١ الحديث لمحمد الزبيدي .

٢ اسحنفر في الشيء : مضى فيه ولم يتمكث .

٣ تنوق في الشيء : جوده وتأثق فيه .

٤ نيط : علق .

فلما سمعته علمت أني إن دخلت اليه أمسك ، فوقفت أستمعه
حتى فرغ منه وأخذته عنه ؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده ، وذكر
أنه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمْسُ ؟
فقلت : هاندي .

فقال : مذ كم أنت واقفة ؟
فقلت : منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته .
فنظر إليّ نظراً مُغْضَبٍ أَسْفٍ ، ثم قال : غنّيه
فغنّيته حتى استوفيته .

فقال لي وقد كَفَرَ وَخَجِلَ : قد بقيت عليك فيه بقيّة أنا
أصلحها لك .

فقلت : لست أحتاج إلى اصلاحك إياه ، وقد والله أخذته على رَغمِكَ .
فضحك .

الشعر والغناء لاسحاق .

يهزأ بابراهيم بن المهدي

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : قال لي إسحاق :

كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنّى إبراهيم صوتاً
لابن جامع أنخلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابن جامع
الناس يججلون خلفه ولا يلحقونه . وفي هذا الصوت خاصّة .

فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء .

فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين .

فقلت : يا سيدي ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمره فليعد يا أمير المؤمنين .

فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمع في الإصابة .

فقلت : آفته في البيت الثاني ، فليردّه .

فردّه فنقص من أجزاءه وقسمته ، فعرفته فأقرّ به ، فقلت :

يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلمني فيها ، وأنا

أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها

مسألة واحدة .

فقال : أويُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟

فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن إسحاق ، فذكر نحواً مما

ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم ، وزاد فيها فقال :

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقرّ

بذلك أقرّ به مخارقاً وعلّويه .

فقال : أويُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فإنه يعدل عندي

البخنج ١ .

١ البخنج : العصير المطبوخ

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما يفعل البُخْتِجُ ؟
قال : يُسْلِحُ .

قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب .

فضحك وغطى فاه وقام ؛ فظنَّ إِسْحاقُ بن إبراهيم المُصْعَبِيَّ أَنِّي
قد أغضبتُه ، فضرب بيده الى السيف ؛ فقلت له : لا تحسبُ أَنِّي
أغضبتُه ؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزءٍ من غير إذنه .
فأمسك ؛ وكان لا يُقدِّم أحداً ان يكلم الخليفةَ بحضرته بما فيه
الوَهْنُ إلا بادر الى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

يفهم الخطأ بين ثمانين وتراً

دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي ، وفي مجلسه عشرون جارية
قد أجلس عشرّاً عن يمينه وعشرّاً عن يساره ومعهنَّ العيدانُ يضربنَّ
بها ؛ فلما دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرته ؛ فقال
المأمون : يا إِسْحاقُ ، أسمع خطأً ؟

فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين .

فقال لا إبراهيم : هل تسمع خطأ ؟

فقال : لا .

فأعاد عليّ السؤال .

فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وانه لفي الجانب الأيسر .
فأعاد إبراهيم سَمَعَهُ الى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير
المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، مرّ الجوّاريّ اللواتي على اليمين يُمسكنّ ،
فأمرهنّ فأمسكنّ .

فقلت لابراهيم : هل تسمع خطأ ؟

فتسمع ثم قال : ما هاهنا خطأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمسِكُن وتضرب الثامنة .

فأمسكنّ وضربت الثامنة .

فعرف إبراهيمُ الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ .

فقال عند ذلك لابراهيم : يا إبراهيم ، لا تُمارِ إسحاقَ بعدها ، فإن

رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجدير الأتاريه .

فقال : صدقت يا أمير المؤمنين .

وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلّها مَشَنَّى

فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرب أمير المؤمنين المأمون ، وقال :

لله درك يا أبا محمد ! فكنتاني يومئذ .

اسحاق من نعم الملك

سمعت^١ الواثق يقول : ما غنّاني إسحاق قطُّ إلا ظننتُ أنه قد

١ الحديث لآحمد بن حمدون

زيد لي في ملكي، ولا سمعته يفتني غناء ابن سريج إلا ظننت ان ابن سريج قد نُشِرَ ، وانه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى اذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدمه ينقص ؛ وإن إسحاق لنعمة من نعم الملوك التي لم يُحِظَ بمثُلها ؛ ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يُشْتَرَى لاشتريتهن له بشطر ملكي .

قاضي القضاة واسحاق

سأل اسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرّوافة لا مع المغنّين ، فإذا أرادَه للغناء غنّاه ؛ فأجابه الى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال^١ : فحدثني محمد بن الحارث بن بسْخُنَّر أنه كان هو ومُخارق وعلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكرم وعليه سواده وطويلته^٢ ، ويده في يد إسحاق يماشيهِ ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد علّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة !

١ الحديث لهلي بن يحيى المنجم .

٢ السواد : شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة .

ثم مضت علي ذلك مدة ، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة .
قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

منزلته عند الواثق

كان المغنّون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق ، فإنه كان يحضّر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عوداً ، فاذا غنى وفرغ سلّ من بين يديه الى أن يطلبه .

وكان الواثق كثيراً ما يكتنيه رفِعاً له من أن يدعوّه باسمه ؛ وكان إذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعِد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيتّمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

تفوقه في فنه

أخبرنا يحيى بن عليّ في خبر ذكر إسحاق فيه ، فقال : وعارض معبداً وابن سريج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويمجّده في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يبلُغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله .

أنته لإبراهيم بن المهدي

سمعت أعلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء .

فقال له إسحاق : ليتنا نفي بما علمناه، فإننا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم ، وليس يفعل ذلك ، إنما يُسقط بعض عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالاضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار^٢ للكتاب ، وهو حينئذ بأن يُسمّى المحذوف أشبه منه بأن يسمّى المحرك .

فضحك علّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المدادي .

قال إسحاق : هذا من لغات الحاكة ؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافي^٣ الكثير العرض والطول المدادي ، وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرك الضرابي ، وهو الخفيف السخيف^٤ من الثياب في

١ الحديث لمحمد بن راشد الخناق .

٢ الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .

٣ الجافي : الغليظ .

٤ السخيف : القليل الغزل .

لغة الخاكة ، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة
الماهي .

ثم قال لعنّويه : بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى .
فقال له : لا وحياتك لا فعلت ، فإنه يعلم تميلي إليكم ، ولكن
عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخنّاق .

فكلمه إسحاق واقسم عليه أن يؤيده ، ففعل وسار إلى إبراهيم
فأخبره ، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيّظ وشم إسحاق بأقبح شتم ؛ ثم
جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق
سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

وإني أنفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاق بن إبراهيم
الموصلي ، فسُرتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة .
قال قلت : قل ما شاء الله .

قال : دعني في بيتك ، ودع غلاميك عندي : بُدَيْجاً وسُلَيْمان ،
وكانا خادمين مغنّيين ، وُمرّهما أن يغنّياني ، وأتني بفلان ليغنّيني أيضاً ،
بحياتي عليك ، وانظلي إلى إبراهيم بن المهدي ، فإنه سيُسّرُ بمكانك ،
فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيّدي ، أسألك عن شيء ، فإذا قال :
سأل ، فقل له : أخبرني عن قولك :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ منّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول : « ذهبتمو » بالواو ، فإن قلت : « ذهبتمو » ولم تمدّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتها قبض الكلام وصار على كلام النبط .

فقلت له : يا أبا محمد ، كيف أخاطب إبراهيم بهذا ؟

فقال : هو حاجتي إليك وقد كلفتك إياها ، فإن استحسننت أن تردني فأنت أعلم .

قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ .

ثم أتيت إبراهيم ، وجلست عنده مملئاً ، وتجارينا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء ، فخاطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجرّمقاني ؛ قل له عني : أنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للهو واللعب والعَبث .

قال : فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال : الجرّمقاني والله منّا أشبهنا بالجرّامقة لغة وهو الذي يقول : « ذهبتمو » .
وأقام عندي يومه فرحاً بما بلّغته إبراهيم عنه من توقيفه عليّ خطئه .

الصديق الرديء

قال عليّ بن محمد : قال لي أبي :

كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنه طابق

١ طابقه على الأمر : وافقه ومالاه .

المهديّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في

أمة ينقله للأساطير؛ فقال فيه إسحاق :

وَنَدْمَانِ صِدْقٍ لَا تُخَافُ أَذَاتَهُ،

وَلَا يَلْفِظُ الْأَخْبَارَ لَفْظَ ابْنِ رَاشِدٍ

دعاني إلى ما يشتهي، فأجبتُه

إجابة محمود الخلائق ماجدٍ

فلا خيرَ في اللذات إلا بأهلها،

وَلَا عَيْشَ إِلَّا بِالْحَلِيلِ الْمُسَاعِدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛

فهجّوه بأشعار لم تبلغ مرادّه ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ

فقال فيه :

وَأَبْيَاتِ شِعْرِ رَائِعَاتِ كَأَنْهَا،

إِذَا أَنْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ، مِنْ حُسْنِهَا سِحْرُ

تَحْفَظَ وَأَقْلَوَلِي، لَرَدِّ جَوَابِهَا،

أَبُو جَعْفَرٍ يَغْلِي، كَمَا غَلَّتِ الْقِدْرُ

فَلَمْ يَسْتَطِعْهَا، غَيْرَ أَنْ قَدْ أَعَانَهُ

عَلَيْهَا أُنَاسٌ كِي يَكُونُ لَهُ ذِكْرُ

١ تحفظ : تهيأ للوثوب . اقلولي : وقف على رجليه ولم يستو قائماً .

فيا ضيعة الأسمار ، إذ تقرضونها ،
وأضيع منها من يرى أنها شعر

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفّه وصالحه ، فرجع إليه .

ابن المهدي يسرقه

ان^١ إبراهيم بن المهديّ طرّح في منزل أبيه :

أمن آل ليلى عرفت الطلولا ،
بذي حرّض ، مائلاتٍ مثولا^٢

بلين ، وتحسب آياتهنّ ،
عن فرط حولين ، رقاً محيلاً^٣

الشعر لكعب بن زهير . والغناء لإسحاق . قال : فبجاءنا إسحاق يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جواريننا ، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ، فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟

قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى .

فقال إسحاق : وما لأبي إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ! هذا أنا صنعتّه ، وليس هو كما طرحه .

١ الحديث لمحمد بن واضح .

٢ ذو حرّض : واد لبني عبد الله بن غطفان .

٣ فرط : مضي . المحيل : الذي أتت عليه أحوال أي سنون

قال : فسأله أبي أن يفتيه .

ففتناه وردده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبسته ، وأنه غشى بحضرتي الصوت الذي ألقيته في منزلك الذي أسكنه ، فزعم أنه صنعه ، وأنه ليس على ما أخذه الجوّاري عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك .

قال : فكتبت الرقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جعلت فداك ، صدق أبو محمد أعزّه الله ، الصوت له ، وهو على ما ذكره ، لكنني لمبت في وسطه لعباً أعجبني .

فقرأ إسحاق الرقعة ففضّيب غضباً شديداً ، ثم قال لي : اكتب إليه : إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تحسن ، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مشارك في جدّ الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أتدرك الله ، ليس هذا الصوت بما يتهبأ لك أن تمخرق فيه وتقول : جندرتّه ٢ .

قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجنّدر صنعة القدماء ويحسّنها .

١ مخرق : موه .

٢ جنّدرته : أصلته وصلته

مناظرته لابن المهدي عند المعتصم

قال علي بن محمد : حدثني جدي حمدون :

أن إسحاق قال لإبراهيم بن المهدي بحضرة المعتصم : ما تقول فيمن يزعم أن ابن سريج وابن محرز ومقبدأ ومالكاً وابن عائشة لم يكونوا يُحسِنون تمام الصنعة ولا استيفاء الفناء ، ويعجزون عما به يكمل ويتسم ويحسن ، وأنه أقدر على الصنعة منهم ؟

قال أقول : إنه جاهل أحمق .

قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهت عليها أنت وتسمتها وحسنتها بجندرتك .

قال : فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجماً مطرِقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقية يومه ، وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجح بغناء يصلحه من غناء المتقدمين ، حتى يُطنب في صنعته ويُشتمى استماعه منه ، كما كان يدعي قديماً .

قال : وكان حمدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً ، حتى يحضر إسحاق ، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأته ، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته ، وكان إسحاق آفته ، كما أن لكل شيء آفة .

يتغنى بشعر ذي الرمة

خرجت يوماً من داري وأنا مخمورٌ أتستهم الهواء ، فمرت برجل
ينشد رجلاً معه لذي الرمة :

ألم تعلمي يا مَيُّ أنِّي ، وبيننا
مهاوٍ لطرف العين فيهنَّ مطرَحٌ^٢

ذكرتك أن مررت بنا أم شادن ،
أمام المطايا تشرئب وتسنح^٣

من المؤلفات الرمل أدماء ، حرّة^٤ ،
شعاع الضحى ، في مثنىها ، يتوضّع^٥

هي الشبّه أعطافاً وجيداً ومقلّة^٦ ،
ومية منها ، بعد ، أبهى وأملح^٧

١ الحديث لاسحاق .

٢ مهاو ، جمع مهواة : وهي ما بين الجبلين ، يريد أنها بعيدة بعداً يسرح معه الطرف .

٣ أم شادن : كنية الظبية ، والشادن ولدها الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عنها . تشرئب
ترفع رأسها .

٤ المؤلفات الرمل : التي الفتة وسكنت اليه . الادماء : البيضاء في غيرة . الحرّة : الكريمة
يتوضّع : يبرق .

كَانَ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيَجَتْ مُسُونُهُ
عَلَى عَشْرِ ، نَهَى بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحَ ١

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلِيًّا ، كَمَا أَرَى ،
تَبَارِيحَ مِنْ مَيِّ ، فَلَمَمْتُ أَرْوَحَ

فَاعْجَبَنِي ، فَصَنَعَتْ فِيهِ لِحْنًا غَنِيَّتُ بِهِ المَأْمُونُ ، فَأَخَذْتُ بِهِ مِنْهُ
مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

غلاما ابن الرشيد

حدَّثني يحيى بن محمد الطَّاهِرِيُّ قَالَ : حدَّثني ينشُو مولى أبي أحمد
ابن الرشيد قال :

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رفيقي محموداً ،
فَدَفَعْنَا إِلَى وَكَيْلٍ لَهُ أَعْجَمِي خُرَّاسَانِيٌّ ، وَقَالَ لَهُ : انْحَدِرْ بِهِذَيْنِ الْغَلَامَيْنِ
إِلَى بَغْدَادَ إِلَى إِسْحَاقَ المَوْصِلِيِّ ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَشَهْرِيًّا ٢
بَسْرَجِهِ وَلِجَامِهِ ، وَثَلَاثَةَ أَدْرَاجٍ ٣ مِنْ فِضَّةٍ مَمْلُوءَةٍ طَيِّبًا ، وَسَبْعَةَ

١ البرى ، واحدها برة : الخلاخيل والحق . العاج : اسورة من العاج . عيجت : لويت .
العشر : شجر ناعم لين مستو . نهى به : أبافه وأوصله . شبه ساعدنيها وساقها بالعشر في
استوائه وليته .

٢ الشهري : ضرب من البراذين .

٣ الأدرج ، واحدها درج : شيء صغير كالقفة تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها .

تُخَوِّتُ ١ من بَزٍّ ٢ خُرَّاسَانِيٍّ ، وَعَشْرَةَ أَسْفَاطٍ ٣ من بَزٍّ مِصْرِيٍّ ، وَخَمْسَةَ
تُخَوِّتِ وَشِيٍّ كُوفِيٍّ ، وَخَمْسَةَ تَخَوِّتِ خَزِّيٍّ سُوسِيٍّ ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ لِلنَّفَقَةِ .

وَقَالَ لِلرَّسُولِ : عَرَّفَ إِسْحَاقَ أَنَّ هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ لِرَجُلٍ مِنْ وَجْهِ
أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَجَّهَ بِهِمَا إِلَيْهِ لِتَفْضِيلِ وَيَعْلَمُهُمَا أَصْوَاتًا اخْتَارَهَا ،
وَكَتَبَهَا لَهُ فِي دَرَجٍ ٤ .

وَقَالَ لَهُ : كَلِمَا عَلَّمَهُمَا صَوْتًا أَدْفَعُ إِلَيْهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى يَتَعَلَّمَا
بِهَا مِائَةَ صَوْتٍ ، فَإِذَا عَلَّمَهُمَا الصَّوْتَيْنِ اللَّذَيْنِ بَعْدَ الْمِائَةِ فَادْفَعْ إِلَيْهِ
الشَّهْرِيَّ ، ثُمَّ إِذَا عَلَّمَهُمَا الثَّلَاثَةَ الَّتِي بَعْدَ الصَّوْتَيْنِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ بِكُلِّ
صَوْتٍ دُرُجًا ٥ مِنَ الْأَدْرَاجِ ، ثُمَّ لِكُلِّ صَوْتٍ بَعْدَ ذَلِكَ تَخَوِّتًا أَوْ سَفَطًا ،
حَتَّى يَنْفَدَ مَا بَعَثْتُ بِهِ مَعَكَ .

فَفَعَلَ ، وَانْحَدَرْنَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَاتَيْنَا إِسْحَاقَ ، وَغَنَيْنَا بِمُحَضَّرَتِهِ ، وَبَلَّغَهُ
الْوَكِيلُ الرِّسَالَةَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُلْقِي عَلَيْنَا الْأَصْوَاتَ حَتَّى أَخَذْنَاهَا كَمَا أَمَرْنَا
سَيِّدُنَا .

ثُمَّ سَرَرْنَا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهِ وَغَنَيْنَاهُ جَمِيعَ مَا أَخَذْنَاهُ
فَسَرَّهُ ذَلِكَ .

وَقَدِمَ إِسْحَاقُ سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وَلَقِيَهِ مَوْلَانَا ، فَدَعَا بِنَا وَأَوْصَانَا

١ التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

٢ البز : الثياب من القطن أو الكتان .

٣ أسفاط ، واحدها سفظ : وعاء كالجوالق أو كالففة .

٤ الدرج : الذي يكتب فيه .

بما أراد ، وغدا بنا الى الواثق وقال : إنكما ستريان إسحاق بين يديه ، فلا تسلمما عليه ولا توهيما أنكما رأيتاه قط .

وَأَلْبَسْنَا أَقْبِيَةَ خُرَاسَانِيَّةٍ وَمَضِينَا مَعَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَى الْوَاتِقِ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ، هَذَانِ غَلَامَانِ اشْتَرِيَا لِي مِنْ خُرَاسَانَ يَفْعِيَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ .

فَقَالَ : غَنِّيَا .

فَضْرَبْنَا ضَرْبًا فَارِسِيًّا وَغَنَيْنَا غَنَاءً فَهْلِيدِيًّا فَطَرَبَ الْوَاتِقُ وَقَالَ : أَحْسَنَمَا ، فَهَلْ تَفْعِيَانِ بِالْعَرَبِيَّةِ ؟

قُلْنَا : نَعَمْ .

وَأَنْدَفَعْنَا تَفْعِيًّا مَا أَخَذْنَاهُ عَنْ إِسْحَاقَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَغَابَلُ عَنْهُ ، حَتَّى غَنَيْنَا أَصْوَاتًا مِنْ غَنَائِهِ .

فَقَامَ إِسْحَاقُ ثُمَّ قَالَ لِلْوَاتِقِ : وَحَيَاتِكَ يَا سَيِّدِي وَبَيْعَتِكَ ، وَإِلَّا كُلَّ مِلْكٍ لِي صَدَقَةٌ وَكُلِّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْغَلَامَانِ مِنْ تَعْلِيمِي وَمِنْ قِصَّتِهِمَا كَيْتَ وَكَيْتَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو أَحْمَدَ : مَا أُدْرِي مَا تَقُولُ ! هَذَانِ اشْتَرَيْتَهُمَا مِنْ رَجُلٍ نَخَّاسِ خُرَاسَانِيٍّ .

فَقَالَ لَهُ : بَلِّغْ وَلِئَعْلَكَ إِلَيَّ ! وَنَخَّاسِ خُرَاسَانِيٍّ مِنْ أَيْنَ يَحْسُنُ أَنْ يَخْتَارَ مِثْلَ تِلْكَ الْأَغَانِي !

١ الولع : الكذب .

فضحك أبو أسيد. ثم قال : صدق ، أنا احتلتُ عليه ولو رُميتُ أن
يعليهما ما أخذه مني ، إذا علم أنها لي ، بعشرة أخفاف ما أعطيتُ
لها فعل .

فقال له إسحاق : قد تحب عليَّ حيلته .

وقال أبو أسيد للوائق : إن أردتَهما فخذهما .

فقال : لا أفجعكُ بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنني حضورهما .

فقال له : قد بذلتُ لك الملك فلم تُؤثره ، أقتُراني
أمنك الخدمة !

فكنا نخدمه بنوبة .

كان في ندماء الواثق

حدثني ابن فيلا الطننبوري وكان قد دخل علي الواثق
وغناه ، قال :

قال الواثق في بعض النشاي : لا يبرح أحدٌ من المفتين الليلة ، فقد
عزمتُ علي الصَّبُوح في غد .

فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له : لا وحياتك
ما أبيتُ .

١ الحديث لأبي عبد الله بن حمدون .

قال : فلا والله ما كان له عند الواصل مسارحاً أكثر من أن قال له : فبِحياتي إلاّ بكّرت يا أبا محمد .

قال : فرأيت مخارقاً وعلّويه قد تقطعا غيظاً ، وبتنا في بعض الحجير ، فقالوا لي : اجلس على باب الحجر ، فإذا جاء إسحاق فمرّنا حتى ندخل بدخوله .

فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دؤاد يمشيه في زيّه وسواده ، وطويلته مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتهما ؛ فقامت على علّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خينا كرا يدخل الى الخليفة مع قاضي القضاة ! أسمعتم بأعجب من هذا البخت قطّ !

فقال له مخارق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد .

ولم نلبث أن خرج ابن أبي دؤاد ودُعِيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الواصل أن يُغشي خرج عن صفتهم قليلاً وأتى بعود فغشى الصوت الذي يأمره به ؛ فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُسمّه ، ورجع الى صفّ الجلّساء .

هو وابن المهدي عند الرشيد

قال لي ابي^٢ : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماءؤه وخاصته

١ الحيناكر : المغني المضحك

٢ الحديث لحماذ بن اسحاق

وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تغنّ :

شربتُ مُدَامَةً وسُقَيْتُ أُخْرَى ،
وراح المُنتَشُونَ وما انتشيتُ

ففتيته ؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبت
يا إسحاق ولا أحسنت .

فقلت : ليس هذا بما تحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنّه ، فإن
لم أجدك أنك تُخطيء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِي حلال .

ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة
أبي ، وهي التي قرّبتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك ،
فإذا نازعنا أحدٌ بلا علم لم نجدُ بُدّاً من الأيضاح والذّب .

فقال : لا غرور ولا لوم عليك .

فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال :
ويْلَكَ يا إسحاق ! أتجترى عليّ وتقول ما قلتَ يا بن ...

فداخني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتمني ، وأنا لا
أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لكنت
أقول لك يا بن ... ؛ أو ترى أنّي كنت لا أحسن أن أقول لك يا بن ...
ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم^١ ، ولولاك
لذكرتُ صناعته ومذهبه .

١ الأعلام : الذي بشفته العليا أو في جانبها شق .

قال إسحاق : وكان يبظاراً .

قال : ثم سكت ، وعلمت أن إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيت ذلك ، ثم قلت : أنت تظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر ! فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخف بأوليائهم تشفياً ؛ وأرجو ألا يخرجها الله عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العياذ ، فحرام عليّ العيش يوماً ، والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذ ما بدا لك .

قال : فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فيجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتمني وذكر أمي واستخف بي .

فغضب وقال : ما تقول ؟ ويلك !

قلت : لا أعلم ، فسئل من حضر .

فأقبل عليّ مسرورٍ وحسين^١ ؛ فسألها عن القصة ؛ فجعلنا نخبرانه ووجهه يتربد^٢ إلى أن انتهى إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّي عنه ورجع لونه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمته فعرفك أنه لا يقدر عليّ جوابك ، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا .

١ مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد .

٢ يتربد : يتغير .

فلما جلس المجلس وانصرف الناس أمر بالآلة أوبراج ، وخرج كل
من حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساء ظنني وأهمتني نفسي ؛ فأقبل عليّ
وقال : ويلك يا إسحاق ! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنته
ثلاث مرات ، أتُراني لا أعرف رقائحك وأقدامك وأين ذهبت ! ويلك !
لا تعدّ ؛ حدثني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه
فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟ ! أتراك لو أمر غلمانك فقتلوك أكنتُ
أقتله بك ؟ !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتني بهذا الكلام ، ولئن بلغه
ليقتلني ، وما أشك في أنه قد بلغه الآن .

فصاح بمسور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة
فأحضر ، وقال : قم فانصرف .

وقلت لجماعة من الخدم ، وكلّهم كان لي مُحبباً وإليّ مائلاً ولي
مُطيعاً : أخبروني بما يجري ؛ فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه
وجهله وقال له : أتستخفُّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن
خادمي وصنيعتي وصنيعه أبي في مجلسي ، وتُقدِّم عليّ وتستخفُّ
بمجلسي وحضرتي ؟

هاه هاه^٢ ! أتقدم علي هذا وأمثاله ! وأنت ما لك والغناء ، وما

١ زناه : قدفه ونسبه الى الزنا .

٢ هاه هاه : حكاية لضحك الضاحك وللوعيد .

'يدريك ما هو! ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلّغ مبلغَ إسحاق الذي غُدِّي به وعُلِّمه وهو صناعته!

ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبت لذلك وتعتم بصنعتهم! أليس هذا بما يدلّ على السُّقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وعلّة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه، وادّعاؤك ما لا تعلمه حتى ينسبّك الناسُ إلى الجهل المُفترط!

ألا تعلم، ويملك، أن هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح!

ثم قال: والله العظيم وحقّ رسوله، وإلا فأنا نَفِيّ من المهديّ، لأنّ أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنك به؛ والله! والله! والله! فلا تعرّض له وأنت أعلم، فم الآن فاخرج.

فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلتُ إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليّ مرّة وإليّ مرة ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبّتك في إسحاق وميلك إليه وإليّ الأخذ عنه، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقّه وبرّه وصلّه، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تمواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق.

ثم قال لي : قم الى مولاك وابن مولاك فقبّل رأسه .
فقمّت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

أعاذِلَ قد نَهَيْتِ فما انتهيتِ ؛
وقد طال العتابُ فما ارعويتِ ؛

أعاذِلَ ما كَبِرتِ ، وفي مَلهي ،
ولو أدركتِ غَايتِكِ انتهيتِ ؛

شَرِبتِ مُدامَةً وسُقِيتِ أُخرى ،
وراح المنتشون وما انتشيتِ ؛

أبيتِ مُعذَّباً ، قلقاً كئيباً ،
لِما ألقاه من ألمٍ وفوتِ ؛

الغناء لابن محرز .

يعني الرشيد وينادمه

حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أرسل إليّ الرشيد ذات ليلة ، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه

١ في هذا البيت اقواء وهو اختلاف حركة الروي .

٢ الحديث لحمد بن أبي الأزهر .

جاريةٌ عليها قميصٌ مُورَّدٌ وسراويلٌ مُورَّدةٌ وقِناعٌ مُورَّدٌ كأنها
ياقوتةٌ على وردةٍ ؛ فلما رأني قال لي : اجلس .

فجلستُ ؛ فقال لي : غنّ .

فغنّيتُ :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجريَ لما جَهَدتهُ ،
وبيّن لو يَسْطِيعُ أن يتكلّمَا

فقال : لمن هذا اللحن ؟

فقلت : لي يا أمير المؤمنين

فقال : هاتِ لحنَ ابنِ سُريجِ

فغنّيته إياه .

فطرب وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً ؛ ثم قال :

غنّ . فغنّيته :

هاجَ شوقي ، بَعْدَمَا

سُيِّبَ أصداعي ، بُرُوقُ

موهيناً ، والبرقُ ممّا ،

ذا الهوى قِدمًا ، يَشُوقُ

١ الموهن : نحو من نصف الليل .

فقال : لمن هذا الصوت ؟

فقلت : لي .

فقال : قد كنت سمعت فيه لحناً آخر .

فقلت : نعم ، لحن ابن مُحَرَّر .

قال : هاته . فغنيته فطرب وشرب رطلا ، ثم سقى الجارية رطلا

وسقاني رطلا ، ثم قال : غن . فغنيته :

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ ،

وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمِي فأجملِي

فقال لي : ليس هذا اللحن أريد ، غنَّ رَمَل ابن سُريج .

فغنيته وشرب رطلا وسقى الجارية رطلا ، ثم قال : حدثني .

فجعلت أحدثه بأحاديث القيان والمغنين طوراً وأحاديث العرب

وأيامها وأخبارها تارة ، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك ،

إذ دخل الفضل بن الربيع ، فحدثته حديث ثلاث جوارٍ مَلَكَهِنَّ

ووصفهنَّ بالحُسن والاحسان والظرف والأدب ؛ فقال له : يا عَبَّاسِي ،

هل تَسْخُو نفسُك بهنَّ ؟ وهل لك من سَلْوَةٍ عنهنَّ ؟

فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إني لأَسْخُو بهنَّ وبنفسي ، فيها

فَدَاك الله .

ثم قام فوجه بهنَّ إليه ، فغلبن على قلبه ، وهنَّ سِحْرٌ وضياء

ونخسَّت ذات الحَال ؛ وفيهنَّ يقول :

إِنَّ سِحْرًا وَضِيَاءً وَخُنُثًا
هِنَّ سِحْرٌ وَضِيَاءٌ وَخُنُثٌ

أَخَذْتُ سِحْرًا ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا ،
تَلَثَّيَ قَلْبِي وَتَرَبَّاهَا التَّلَثُّ

ينادم ابن عائشة

حدَّثني الصُّوفي عن إسحاق قال :

أتيت عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة ، فلما دخلتُ إليه
حصرتُ ؛ فقال لي : إن الحَصْرَ رائدُ الحياء ، والحياءُ عقيدُ الايمان ،
فإنبسطُ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتُ بيننا الأحساب ، لقد قرّبتُ بيننا
الآداب .

فقلت : والله لقد سررتني بخطابك ، وزدتني ببرك عجزاً عن
جوابك ؛ والله درّ القطاميّ حيث يقول :

أما قريشٌ فلن تلقاهمُ أبداً ،
إلا وهم خيرٌ من يحفى وينتعِلُ

١ الرائد : الرسول والمرسل

هدية وشعر بشعر

وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلي بزعفران رطب وكتب إليه :

أشربُ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتَكِنًا ؛
وَأَنْعَمُ نَعِيمًا بِطَوْلِ اللَّهْوِ وَالطَّرْبِ .

فحُرْمَةُ الْكَأْسِ ، بَيْنَ النَّاسِ ، وَاجِبَةٌ ،
كَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَرْحَامِ وَالْأَدَبِ .

قال : فكتب إليه إسحاق :

أذكر أبا جعفرٍ حَقًّا أُمْتُ بِهِ ،
أَنْتِي وَإِيَّاكَ مَشْغُوفَانِ بِالْأَدَبِ .

وَأَنْنَا قَدْ رَضَعْنَا الْكَأْسَ دَرَّتْهَا ؛
وَالْكَأْسُ حَرَمَتْهَا أَوْلَى مِنَ النَّسَبِ ١

يودع بشعر

لما أراد^٢ الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُرَّاسَانَ ودَعَّعْتُهُ ، ثم أنشدته

بعد التوديع :

١ درتها : ما تدر به ، والاصل في ذلك اللبن ، واستعير للخمر

٢ الحديث لاسحاق .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ ،
وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدَّيْمِ ١

عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكُم مِّنْ وِفَاءٍ
أَفَارِقُ فِيكَ ، وَكُم مِّنْ كَرَمٍ

قال : فضمني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمد ،
لو حلّيت هذين البيتين بصفة وأودعتهما من يصلح من الخارجين
معنا ، لأهديت بذلك إلي أنساً وأذكرتني بنفسك .
ففعلت ذلك وطرحته على بعض المفتين ، فكان كتابه لا يزال
يرد عليّ ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غنني بهذا الصوت .

مكتبته السيارة

أخبرني عمي عن إسحاق قال :

قال لي الأصمعيّ : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي : هل
حملت معك شيئاً من كتبك ؟

فقلت : نعم ، حملت منها ما خفت حملة

فقال : كم ؟

فقلت : ثمانية عشر صندوقاً

١ الديم ، واحدها ديمة : السحابة التي يدوم مطرها

فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟

فقلت : أضعافها .

فجعل يعجب .

شعره في المعتصم

حدثني إسحاق قال :

لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنأه
القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مستنطقاً ؛ فأنشدته :

لاحَ بالمفترقِ منك القتييرُ

وذوى غصنِ الشَّبابِ النَّضيرُ^٢

هزئت أسماءُ مني ، وقالت

أنت يابن الموصليِّ كبيرُ

ورأت شيباً برأسي ، فصدت ،

وابنُ ستمينِ بشيبِ جديرو

لا يروعنك شيبِي فإني ،

مع هذا الشيبِ ، حلُّو مزيرو^٣

١ الحديث لعمر بن شبة .

٢ المفرق : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر . القتيير : اول ما يبدو من الشيب .

٣ المزير : الظريف .

قد يُفَلُّ السيفُ ، وهو 'جراز' ،
ويَصُولُ الليثُ ، وهو عَقِيرٌ^١

يا بني العباس ! أنتم شفاءُ ،
وضياءُ للقلوب ، ونورُ

أنتم أهلُ الخلافةِ فينا ،
ولكم منبرُها والسريُّ

لا يزال الملكُ فيكم ، مدى الدهنِ ،
مُقيماً ما أقام ثبيرٌ^٢

وأبو إسحاق خيرُ إمامٍ ،
ماله في العالمين نظيرُ

ماله ، فيما يریش ويبري ،
غيرَ توفيقِ الاله ، وزيرٌ^٣

واضحُ الغرَّةِ للخيرِ فيه ،
حين يبدو ، شاهدٌ وبشيرُ

١ الفل : ثلم ينال حد السيف . الجراز : الماضي . العقير : المجروح .

٢ ثبير : جبل بين مكة وعرفة .

٣ راش السهم : ألزق عليه الريش . برى السهم : نخته . ويريد في قوله « فيما يریش ويبري »
كل ما يقوم به من أعمال .

زانه هَدْيُ تَقَىَّ وِجْلالُ ،
وعفافٌ ووقارٌ وخَيْرُ
لو تُباري جودَه الرِّيحُ يوماً ،
نَزَعَتْ ، وهي طليحٌ حَسِيرٌ^١

في مقدمه من غزاته

قال : فأمر لي بجائزة فضّلتني بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليه يوم
مقدمه من غزاته ، فأنشدته قولي فيه :

لأسماءَ رسمٌ عفا باللّوى ،
أقامَ رهيناً أطولَ البيلي
تعاوَرَه الدهرُ ، في صَرْفِهِ ،
بكرٌ الجديدين حتى عفا^٢
إذِ البينُ لم تُخَشَّ رَوْعَاتِهِ ،
ولم يصرفِ الحيَّ صَرْفِ الرّدى^٣
وإذ مَيْعَةُ اللهو تجري بنا ،
وحبلُ الوصالِ متينُ القوى^٤ .

١ الطليح : التعب الهزيل . الحسير : الكليل .

٢ الجديدان : الليل والنهار .

٣ روعاته : فزعاته . يصرف الحي : يدفعه . صرف الردى : دافع الموت .

٤ الميعة : أول كل شيء . القوى : طاقات الحبل ، واحدها قوة .

فذلك دهرٌ مضى فابككهِ ؛
ومَنْ ضاقَ ذرعاً بأمرٍ بكى ١

وهل يَشْفِينَك ، من غلَّةٍ ،
بكاؤك في إثر ما قد مضى ٢؟

إلى ابن الرشيد إمام الهدى ،
بعثنا المطيَّ تجوب الفلا ٣

إلى ملكٍ حلَّ من هاشمٍ ،
ذؤابةً مجدٍ منيف الذرى ٤

إذا قيل أيّ فتى هاشمٍ
وسيدُها ؟ كان ذاك الفتى

به نَعَشَ اللهُ آمالنا ،
كما نَعَشَ الأرضَ صوبُ الحيا ٥

إذا ما نوى فِعْلَ أكرُومةٍ ،
تجاوز ، من جُوده ، ما نوى

١ ضاق ذرعاً به : لم يقدر على حمله .

٢ الغلّة : المعطش ، والحرارة في الجوف . وأراد هنا شدة الحزن .

٣ تجوب : تقطع .

٤ المنيف : العالي . الذرى ، واحدها ذروة : أعلى الشيء .

٥ الصوب : المطر . الحيا : المطر . وقوله صوب الحيا : من باب إضافة الشيء الى نفسه

كساه الاله رداءَ الجمال ،
ونورَ الجلال وهديَ التقى

قال : فأمر لي بجائزة ، وقال : لستُ أحسبُ هذا لك إلا بعد أن
تقرنَ صناعتك فيه بالأخرى ، يعني أن أغنيَ فيه وفي : « هزئتُ
أسماءُ مني » ؛ فصنعتُ في :

هزئتُ أسماء مني

لحناً ، وفي :

لأسماء رسم عفا بالآوى

لحناً آخر وغنيته بهما ، فأمر لي بألفي دينار .

لحن لاسحاق صعب

حدّثني أحمد بن أبي العلاء قال : غنيّتُ يوماً بين يدي الواصل
لحنَ إسحاق في :

هزئتُ أسماء منّي ، وقالت :
أنت يا ابن الموصليّ كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقاً نظراً شزرراً وعضّ شفته عليّ ، فلما خرجنا

١ الحديث لأبي يحيى بن علي .

من بين يدي الوثائق قلت : يا أستاذ ، لم نظرتَ إليّ ذلك النظرَ ؟
أنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟

فقال لي : وَيُحِك ! أتدري أيّ صوت غنّيتَ ! إن إسحاق جعل
صِيحَةً هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وَعُرَّ صعبِ المُرْتَقَى ، أحد
جانبي ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن
مال مُرتقيهِ عن مَحَبَّتِهِ إلى جانب الوادي هوى ، وإن مال إلى الجانب
الآخر نطجته حرفُ الجبل فتكسر ؛ صرّ إليّ غداً حتى أصحبه لك .

يبني لحنه على الاذان

أخبرني علي بن سليمان الأخفش :

ان إسحاق بات ليلةً عند المعتصم ، وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد
الوهاب المؤذّن أدنّ به على باب المعتصم ، فأصغى إليه فأعجبه ، فأعاد
المبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه لحنه :
هزئتُ أسماءُ منّي ، وقالتُ

هديته لابراهيم بن المهدي

أخبرني الحسن بن عليّ :

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِدَ يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف

خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي
إليك هديّةً للفصد حسنةً ، فوجهه إليه بُدِيحاً غلامه ، ففتناه لحنه في :

هزئتُ أسماءُ منّي ، وقالتُ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك في
طرّحه على الجوّاري فافعل .

فقال له : بذلك أمرني وقال لي : انك ستقول لي هذا القول ، فقال :
إن قاله لك فقل له : لو لم آمرك بطرحه لم يكن هديّة .

فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدِيح على جواريه .

وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنه كتب إلى
أبيه بهذه الهدية ، وهذا خطأ ، لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ،
وإبراهيم الموصلي مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت !

محاورته لعلويه

حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال :

دعاني الفضل بن الربيع ودعا علّويه ومخارقاً ، وذلك في أيام
المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أن حاله كانت ناقصة متضععة ؛

١ الحديث لابن الدهقانة النديم .

فلمّا اجتمعنا عنده كتب الى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير اليه
ويُعَلِّمَهُ الحالَ في اجتماعنا عنده ؛ فكتب اليهم : لا تنتظروني بالأكل
فقد أكلت ، وأنا أصير اليكم بعد ساعة .

فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُبَ العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس
وجاء غلامه بقطرٍ مِيزاً^١ نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأمر صاحبَ الشراب
بإسقاؤه منه ، وكان علوؤيه يغني الفضل بن الربيع في لحنٍ لسيّاط
اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو :

فإن تَعَجَّبِي ، أو تُبْصِرِي الدهرَ طَمَّني ،
بأحدائه ، طَمَّ المقصَّصَ بالجَلَمِ^٢

فقد أترك الأضيافَ تندي رحالهم ،
وأكرمهم بالمَحْضِ والتامِكِ السِّنَمِ^٣

فقال له إسحاق : أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا
أصلحه لك .

فجُنَّ علوؤيه واغتاض وقامت قيامته ؛ ثم أقبل علوؤيه فقال له :
يا حبيبي ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنما أردتُ تهذيبك

١ القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

٢ طمني : غمرني وقصني . الجلم : المقص . يريد ان الدهر غمره بأحدائه كما يغمر الشعر
المقصص بالجلم او انه قصه كما يقص الشعر ، فيكون في الكلام استعارة القص للائنخان .

٣ المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . التامك السنم : العظيم السنام من الابل .

وتقويك ، لأنك منسوب الصواب والخطإ الى أبي وإلي ، فإن كرهت
ذلك تركتك وقلت لك : أحسنت وأجملت

فقال له علويّيه : والله ما هذا أردت ، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً
من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير
وعرفك أنه قد نشط للاصطباح : ما حملك على الترفع عن مباكرته
وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا
الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قطر مبرز نبيذ ترفعاً عن شرايه كما ترفعت
عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط ، كما تفعل الأكفاء ،
بل تريد على فعل الأكفاء ؛ ثم تعمد إلى صوت قد اشتباه واقتوحه
وسمعه جميع من حضر فما عابه منهم احد فتعيبه ليم تنغيصك إياه
لذته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك الى مثل ما
دعاك اليه الأمير ، بل بعض أتباعهم ، لبادرت وباكرت وما تأخرت
ولا اعتذرت .

قال : فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علويّيه اسحاق ؛
فقال له اسحاق : أما ما ذكرت من تأخري عنه الى الوقت الذي حضرت
فيه ، فهو يعلم أنني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع ، ان وثق بذلك مني
والا ذكرت له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل .
وأما ترفعي عنه ، فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب الى صنائعه
واستمنحه واعيش من فضله مذ كنت ، وهذا تضريب الأباي به منك .

١ التضريب : الاغراء بين القوم .

وأما حملي النبيلة معي ، فإن لي في النبيل شرطاً من طعمه وريحه ،
وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنقّص علي يومئذ ، وإنما حملته ليطم
نشاطي وينتفع بي .

وأما طعني على ما اختاره ، فإنني لم أطعن على اختياره ، وإنما أردت
تقويمك ، ولست والله تراني مُتتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوِّماً شيئاً
من خطئك ؛ وأنا أغنّي له ، أعزّه الله ، هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم
من حضر أنك أخطأت فيه وقصّرت . وأما البرامكة وملازمتي لهم
فأشهر من أن أجحده ، وإني لحقيق فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم
على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك والله أقل ما يستحقونه مني .
ثم أقبل على الفضل ، وقد غاظه مدحهم لهم ، فقال : اسمع مني شيئاً
أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ،
فإن وجدت لي عذراً وإلا فلهم :

كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا يزال
يجري بين غلماني وغلّمانه وجواري وجواريه الحصومة ، كما
تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم اليه ، فأتبّين الضجر والتنكّر
في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلّماني وجواري ،
وكانت داراً واسعة ، فلم أرض ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إلي
من إخواني أن يروا مثله عندي ؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع ،
وزاد فيكري حتى خطّر بقلبي 'قبّح' الاحدوثة من نزول مثلي في دار
بأجرة ، وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي صاحب داري ،

وعندي من أحشمه ولا يعلم حالي ، فيقال صاحب دارك ، أو يُوجّه
في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحشمه .

فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي
بأن يُسْرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ الى الصحراء أتفرّج فيها بما
دخل على قلبي ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا
مفكر لا أُميّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن
خالد ؛ فتواثب غلمانه إليّ ؛ وقالوا : أين هذا الطريق ؟
فقلت : الى الوزير .

فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ
خَجِلاً ، قد وقعتُ في أمرين فاضحين : إن دخلت اليه برداء ونعل
وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له :
كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً ، كان قبيحاً .

ثم عزمْتُ فدخلتُ ؛ فلما رأني تبسّم وقال : ما هذا الزّيّ يا أبا
محمد ! احبسنا لك بالبر والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً .
فقلت : لا والله يا سيّدي ، ولكنني أصدّقك

قال : هاتِ ، فأخبرته القصة من أولها الى آخرها ؛ فقال : هذا حق
مستور ، أفهذا شغل قلبك ؟

قلت : إي والله ؛

وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا

له خلعة .

فجاءوني بخلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ، ووُضِعَ
النبيذ فشربت وشرب ففغنيته ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقمة
وكتب أربع رِقَاعَ ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا
بعض وكلائه فدفع إليه الرّقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛
ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة .

ثم اتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي
حماري ، فلمّا تجاوزت الدار قال لي غلامي : الى أين تمضي ؟

قلت : الى البيت .

قال : قد والله بيعت دارك ، وأشهد على صاحبها ، وابتاع
الدّرْبُ كلّه ووُزِنَ ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظر
ليعرّفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ، لأنني رأيت الأمر في استعجاله
واستحثائه أمراً سلطانياً .

فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما
أعمل . فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه يحيى
قد قام إليّ فقال لي : ادخل ، أيّدك الله ، دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك
في أمر أحتاج إليك فيه .

فطابت نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقراني توقيع يحيى :
« يُطلق لأبي محمد إسحاقَ مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما
يجاورها ويلاصقها . » والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل : « قد أمرتُ

لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها داره ، فأطلق إليه مثلها
ليُنْفِقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي . « والتوقيع
الثالث الى جعفر : « قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع
له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على
بنائها وممرمتها على ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع
بها فرشاً لمنزله . « والتوقيع الرابع الى محمد : « قد أمرت لأبي محمد
إسحاق أنا وأخوك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يُبتاعه ونفقة يُنفقها عليه
وفرش يُبتدله ، فمُر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في
سائر نفقته . «

وقال الوكيل : قد حملتُ المال واشتريتُ كل شيء جاورك بسبعين
ألفَ درهم ، وهذه كتب الابتاعات باسمي والاقرار لك ، وهذا المال
بُورِكَ لك فيه فاقبِضه .

فقَبِضَتْهُ وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛
ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي ، أفالأم على شكر هؤلاء !
فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر ، وقالوا : لا والله لا تلام
على شكر هؤلاء .

ثم قال الفضل : بحياتي غنَّ الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن
تُقوِّمه له .

فقال : أفعل ؛ وغنَّاه ، فتبيَّن علوِّيه أنه كما قال ، فقام فقَبِلَ
رأسه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل

أحد ؛ وردّه^١ إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلّوّه .
ولقد روي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصة كانت عند عليّ بن
هشام ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جعظّة قال :

دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبغ عنده ويُبكّر
فأجابهُ ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّوّه ؛ فقال
له عليّ بن هشام : أين كنت الساعة يا أبا محمد ؟

قال : عاقني أمر لم أجد من القيام به بدّاً .
فدعا له بطعام فأصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم ، وتفتّى علّوّه
صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو :

إلهي كَسَحَتِ الوُدّ مني بخيلةً ؛
وأنت على تغيير ذاك قديرُ

شفاءُ الهوى بثُ الهوى واشتكاؤه ؛
وإن امرأً أخفى الهوى لصبورُ

فقال له إسحاق : أخطأتَ ويْلَكَ !

فوضع علّوّه العود وشرب رطلاً وشرب عليّ بن هشام ؛ ثم تناول
العود وغنّى :

١ رده : أعاده .

ولقد أسْمُو الى عُرفٍ ،
في طريقٍ ، موحشٍ ، جُدْدُهُ^١
حولةُ الأحراسُ تحرسه ،
ولديه ، جاثماً ، أسدُهُ

فقال له إسحاق : أخطأتَ وَبِدَكَ !

فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأمير ،
أعزّه الله ، لتبكر إليه ، فبجسته ظهرًا ، وغنيتُ صوتين يشتهيها الأمير ،
أعزّه الله ، عليّ ، فخطأتني فيهما ، وزعمتَ أنك لا تغنّي بين يدي الأمير ،
أعزّه الله ، ولا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد ، ولو دعاك
بعض البرامكة لكنتُ تسرع إليه ثم تغنّي مُنذُ غُدوةٍ الى الليل !
فقال إسحاق : إني والله ما أردتُ انتقاصاً منك ، ولا أقول مثله
لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنني أردتُ بك خاصّة التقويم
والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك .

ثم أقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أعزّك الله ، إني أهدتُك
عن البرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره :
دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أكن أردت الدخول عليه ،
وإنما وكبتُ متبذلاً^٢ لهم أهمني ، وكنت نازلاً مع أبي في داره ،

١ جده : معاله .

٢ التبذل : ترك التزين والتهبؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع .

فَضِقتُ صدرًا بذلك وأحبتُ الشُّقْلَةَ عنه ، ونظرتُ فإذا يدي تَقْصُرُ
عما يُصلِّحني .

ثم ذكر الخبرَ نحوهً بما قلته . وزاد فيه : أنه دخل الى يحيى بن
خالد وهو مُصْطَبِجٌ ، ، فلما رآه نعرًا وصفق ، وأنه وقَّع له بمائتي
ألف درهم ، ووقَّع له كلٌّ من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفاً ،
وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألفٍ مائة ألف .

وقال فيه : فيبكي عليّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا : لا يُرى
والله مثل هؤلاء أبدًا .

وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب ؛ فقام
علوَّيه فقبِلَ رأسه وقال له : أنت أستاذنا وابن أستاذنا ، وما بنا عن
تقويمك غنيٌّ .

ثم غنّى بعد ذلك لحنه : « تشكَّى الكُمَيْتُ الجري » ، ولم
يزل يغنِّي بقيَّةَ يومه كلما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأتبعه
عليّ بن هشام بجائزة سنِيَّة .

يشهد له بالصنعة

حدَّثني^٢ عبدالله بن العباس الرُّبَيْعِيُّ قال :

أحضرنى إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلما جلست واطمأننت ،

١ نعر : صاح وصوت .

٢ الحديث لعون بن محمد .

أخرج إليّ خادمه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير ،
أعزّه الله .

فقرأتها فإذا فيها قوله :

يرتاح للدَّجْنِ قلبي ، وهو مقتسمٌ
بين الهموم ، ارتياحَ الأرضِ للمطرِ^١

إني جعلتُ لهذا الدَّجْنَ زيجلته ،
ألا يزول ، ولي في الله من وطر^٢

وتحت هذين البيتين : « تقدّم » ، جعلت فداك ، إلى من بحضرتك
من المغنّين بأن يفتوا في هذين البيتين ، وألقى جميعاً ما يصنعونه على
فلانة ، فإذا أخذته فأنفذها إليّ مع رسولي . »

فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير ، أعزّه الله ، فهل صنع فيهما
أحد قبلي ؟

فقال : نعم ، إسحاق الموصليّ .

فقلت : والله لو كلّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضّل إسحاقَ
فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه
فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقتَ والله ! وهكذا يقول من

١ الدجن : الباس الغيم الأرض .

٢ النحلة : المذهب والنوع ، يقول انه جهل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى ، ولكن اصنعُ فيهما على كل حال
كما أمر .

فقلت : أفعَلْ وَقَدْ بَرَّتُ مِنَ الْعُهْدَةِ .

فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة
غناء القرآن دين .

يبكي شبابه

قال لي المعتصم أو قال لي الواثق : لقد ضحك الشيب
في عارضيك .

فقلت : نعم يا سيدي ، وبكيت ، ثم قلت أبياتاً في الوقت
وغنيت فيها :

تولّى شبابك ، إلا قليلاً ،
وحلّ المشيب ، فصبراً جميلاً

كفى حزنناً بفراق الصبّا ،
وإن أصبح الشيب منه بديلاً

ولما رأى الغانيات المشيب ،
أغضينَ دونك طرفاً كليلاً

سَأَنْدُبُ عَهْدًا مَضَى لِلصَّبَا؛
وَأَبْكِي الشَّبَابَ بَكَاءَ طَوِيلًا

فبكى الواثق وحزن وقال : والله لو قدرتُ على ردِّ شبابك
لفعلت بشطْرٍ مُلْكِي ؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل
البساط بين يديه .

اخفاق المغنين

حدثني^١ حمْدون بن إسماعيل قال : لما صنع أبوك لحنّه في :

قَفٌ بِالْديَارِ التي عَفَا القِدَمُ ،
وغيَّرتها الأرواحُ والديِّمُ^٢

رأيتهم ، يعني المغنِّين ، يأخذونه عنه ويجهِّدون فيه ؛ فتُوفِّي
والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه .

نسبة هذا الصوت

قَفٌ بِالْديَارِ التي عَفَا القِدَمُ ،
وغيَّرتها الأرواحُ والديِّمُ

١ الحديث لحماد بن اسحاق .

٢ الأرواح : جمع ربح .

لمّا وقفنا بها نسائِلُها ،
فاضت من القوم أعينٌ سَجْمٌ^١

ذكراً لعيشٍ مضى ، إذا ذكروا
ما فأت منه ، فإنه سَقَمٌ

وكل عيش ، دامت غَضَارَتُهُ ،
منقَطِعٌ مرّةً ومنصرمٌ

الشعر والغناء لاسحاق .

حدثني^٢ عَجَبِيْف بن عَبَّاسَة قال :

كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلي ، فغَنَّاه :

قل لمن صدّ عاتبا ،
ونأى عنك جانباً

فأمره بإعادته ، فأعاده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثاً ؛ فقال له إبراهيم
ابن المهدي : قد استحسنت هذا الصوت يا أمير المؤمنين ، أفأأخذه ؟

قال : نعم ، خذوه فقد أعجبني .

فاجتمع جماعةُ المغنّين : مُخَارِقٌ وَعَلَوِيُّه وَعَمْرُو بن بانه وغيرهم ،

فأمره المعتصم أن يُلقِيَهُ عليهم حتى يأخذوه .

١ سجّم : واحدها سجوم ، من سجم الدمع : سال

٢ الحديث لهارون بن اليتيم .

فقال عَجِيْفٌ : فعددتُ خمسين مرّةً قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه .

قال هارون : فنعن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث ابن بُسَيْخُنْزَرٍ ، فقال له عَجِيْفٌ : يا أبا جعفر ، كنت أحدثُ أبا موسى بجديتنا البارحةً مع إسحاقَ في الصوت وأني عددت خمسين مرّةً .

فقال محمد : إي والله ، أصلحك الله ، ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّةً وما في القوم أحدٌ إلا وهو يظن أنه قد أخذه ، والله ما أخذه أحدٌ منهم وأنا أولهم ما قدرت ، علم الله ، على أخذه على الصيحة وأنا أسرعهم أخذاً ، فلا أدري : ألكثرة زوائده فيه أم لشدة صعوبته ؛ ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً !

يَجِيزُ لِلْمَعْتَمِ شِعْرًا

قال أبو أيُّوب : وحدّثني حمّاد عن أبيه قال : كنتُ يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعرٌ على هذا الوزن فقال : وددت أنه على غير ما هو ؛ فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر :

قُلْ لِمَن صَدَّ عَاتِبًا ،
وَنَأَى عَنكَ جَانِبًا .

قد بلغت الذي أردت ،
وإن كنت لاعباً

فأعجبه وقال لي : قد والله أحسنت ! وأمر لي بألفي دينار، ووالله
ما كانت قيمتها عندي دانيقين^١ .
الشعر والغناء في هذين البيتين لاسحاق .

غضب الأمين عليه

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :
غضب عليّ^٢ المخلوع^٣ فأقصاني وجفاني ، فاشتد ذلك عليّ .
قال : وجفاني وهو يومئذ بالأنبار، فحملت عليه بالفضل بن الربيع ،
فطلب إليه فشفعه^٣ المخلوع^٣ ودعاني وهو مُصْطَبِحٌ ، فلم أزل متوقفاً ،
وقد لبستُ قِبَاءً وخُفّاً أحمرَ واعتصبتُ بِمِصَابَةِ صَفراءَ وشَدَدتُ
وسطِي بِشُقَّةِ حمراءَ من حريرٍ؛ فلما أخذوا في الأهازج دخلتُ وفي يديّ
صفّاقتان وأنا أتغنّي :

١ الدانق: سدس الدرهم .

٢ المخلوع : محمد الأمين .

٣ شفعه : قبل شفاعته .

اسمع لصوتٍ طَريبٍ
من صَنعةِ الأنباري^١

صوتٍ مَليحٍ خفيفٍ ،
يَطيرُ في الأوتار

الشعر والفنَاء لاسحاق ، فسُرَّ بذلك محمد ، وكان صوتهم في
يومهم ذلك ، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم .

وكان سبب تسمية محمد لي بـ « الأنباري » أني دخلتُ عليه يوماً
وقد لُثتُ عمامتي^٢ على رأسي لوثاً غير مستحسنٍ ، فقال لي : يا إسحاق ،
كأنَّ عمامتك من عمام أهل الأنبار .

الإصمعي وشعر اسحاق

قال اسحاق : قلت في ليلة من الليالي :

هل ، الى نظرةِ اليك ، سبيلُ
يُرو منها الصدى ، ويُشفى الغليل^٣

إنَّ ما قلَّ منك يكثرُ عندي ،
وكثيرُ ممن تحبُّ القليلُ

١ الأنباري : نسبة الى الأنبار ، مدينة على الفرات غربي بغداد .

٢ لاث العمامة على رأسه : لفها وعصها .

٣ جزم يرو لضرورة الشعر .

قال : فلما أصبحت أنشدتها الأصمعي ، فقال : هذا الدِّياج
الحُسرواني^١ ، هذا الوشي الاسكندراني ، لمن هذا ؟
فقلت له : إنه ابن ليلته .

فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال : أفسدته ! أفسدته ! أمّا إن
التوليد فيه ليّسن .

معنى سبق اليه

وكان^٢ إسحاق يُعجّب بهذا المعنى^٣ ويكرره في شعره ، ويرى أنه
ما سبق اليه ، فمن ذلك قوله :

أيها الظبي الغرير ،
هل لنا منك مجير ؟
إنّ ما نولّتي منك ،
وإنّ قل ، كثير

فقلت : إنك قد سبقت الى هذا المعنى ، فقال : ما علمت أن
أحدًا سبقني اليه ، فأنشدته لأعرابي من بني عقيّل :
قفي ودّعينا ، يا مليح ، بنظرة ،
فقد حان منّا ، يا مليح ، رحيل

١ الحسرواني : نوع من الثياب منسوب الى خسرو أحد الاكاسرة .

٢ الحديث لعلي بن يحيى .

٣ اي معنى البيتين السابقين .

أليس قليلاً نظرةً ، إنْ نظرتُها
اليكِ ، وكَلَّامٌ ليس منكِ قليلٌ

عَقِيلِيَّةٌ أَمَا مَلَاتُ إِزَارَهَا
فَوَعْتُ ، وَأَمَا خَصَّصْتُهَا فَضَائِلُ

أيا جَنَّةَ الدنْيَا ويا غَايَةَ المُنَى ،
ويا سُؤْلَ نَفْسِي هل اليكِ سَبِيلُ ؟

أراجِعَةُ نَفْسِي اليّ ، فأغْتَدِي
مع الرِّكْبِ ، لم يُقْتَلْ عَلَيْكَ قَتِيلُ

فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ ،
وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لي اليكِ رَسولُ

قال : فحلف أنه ما سمع بذلك قطُّ .

قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها .

حوار لطيف

عائني^٢ إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء اليه ، فقال لي : مَنْ
جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة
طاعةً لازمةً .

١ مَلَاتُ الإزار : مداره وهو ما دون الخصر . والوعث : اللين .

٢ الحديث لاسحاق .

فقلت له : جعلني الله فداك ، إذا ثبتت الأصول في القلوب ،
نطقت الألسن بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني
بالثناء عليك ناثر ، وما يظهر الود المستقيم ، إلا من القلب السليم .
قال : فأبرئ ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي .

فقلت : أجعل مجيئي اليك في الليل والنهار نوباً أتيقظ لها كتيقظي
للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصراً .

فضحك وقال : من يقدر على جواب المغنين !

فقلت : من اتخذ الغناء لنفسه ولم يتخذه لغيره .

فضحك أيضاً وأمر لي بخيلع ودنانير وبر ذون وخادم .

وبلغ الخبر المعتصم ، فضاعف لابراهيم ما أعطاني ، فرحت وقد
رجحت وأرجحت

اسحاق وابن الربيع

عَتَبَ عليّ الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني ، فكتبت اليه :
« إن لكل ذنب عفواً وعقوبة ، فذنوب الخاصة عندك مستورة مغلوبة ،
فأمّا مثلي من العامة فذنبه لا يُغفر وكسره لا يُجبر ، فإن كنت لا
بدّ معاقبي فأعرض لا يؤدّي إلى مقت . »

وكان يختلف اليّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع
يقربّه ويستظرف كلامه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه
فمضى اليه ، فقال له الفضل : فيم كنتم ؟
قال : كنا في قِدْرِ تَفُورٍ ، وكأس تَدُورٍ ، وغناء يَحُور¹ ، وحديث
لا يحور² .

ينتحل شعره الأعراب

كان³ اسحاق يقول الشعر على السن الأعراب ، وينشده الأعراب ،
وكان يُعابى⁴ بذلك أصحابه ويُغرب عليهم به ، فمن ذلك ما
أنشده لأعرابي⁵ :

لفظًا الحُدُورُ عليك حُورًا عِينًا ،
أُنْسِينَ ما جِمع الكِناسُ قَطِينًا⁶

فإذا بَسَمَنَ ، فَمَنْ كَمَثَلِ عَمَامَةٍ ،
أو أَقْحُوانِ الرَمْلِ بات مَعِينًا⁷

-
- ١ بصور : بصوت .
 - ٢ لا يحور : لا يعاد .
 - ٣ الحديث للحسين بن طالب .
 - ٤ يعابي : يأتي بكلام لا يهتدي له أصحابه .
 - ٥ لفظ : أخرج . القطين : القاطن في المكان اي المقيم فيه .
 - ٦ معين : ريان .

وأصبح من رأتِ العيون ، محاجراً ،
ولهنَّ أمراضٌ ، ما رأيت ، عيوننا

وكأنما تلك الوجوه أهلة
أفمرون بين العشر والعشرين

وكأنهن ، إذا نهضن حاجة ،
ينهضن بالمقدمات من يسريناً^٢

قال : وأنشدني أيضاً بما كان ينسبه إلى الأعراب وهو له :

ومكحولة العينين من غير ما كحل^١ ،
مُهففة الكتفين ذات شوى خدل^٣

منعمة الأطراف مُفعمة البرى ،
روادفها تحكي الدهاس من الرمل^٤

صبيود لألباب الرجال ، متى رنت^٥
إلى ذي نهى ، جلد القوى وافر العقل^٥

-
- ١ المحاجر ، واحدها محجر : ما دار بالعين . وأراد هنا العيون .
 - ٢ المقدمات : ما تراكم من الرمل وتعقد . يبرين : من اصقاع البحرين ، يشبه أعجازهن بكتبان الرمل لضخامتها .
 - ٣ الكتفين : الحاصرتين . مهففة : دقيقة . الشوى : الاطراف . الخدل : الممتلئ الضخم . يريد انها ممثلة الذراعين والساقين .
 - ٤ البرى ، واحدها برة : الحلقة سواراً كانت او خلخالاً او قرطاً . الدهاس : المكان اللين . يصف ذراعها وساعديها بالامتلاء وردفها بالضخامة واللين .
 - ٥ رنت : أدامت النظر . النهى : العقل .

تخلّى النشبي عنه ، وحالفه الصبا ،
وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل

شبيبة كُثبان ، يروقك تحتها
عناقيد كرم ، جادها غدق الوبل^١

رمتني فجلت نائطي ، ولم تصب
لها نائطي قلب ، ولا مقتلا ، نبلي^٢

الرشيد يعجب بشعره

حدثني علي بن سليمان الأنخس عن الأصمعي قال :
دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأينا لقس^٣ النفس ،
فأنشده إسحاق يقول :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ،
فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى
بخيلاً له ، حتى الممات ، خليل

١ الشبيبة : الشابة ، ولعله اضافها الى الكثبان لضخامة رديها . غدق الوبل : المطر الغزير
شبه شعرها بالعناقيد الريا ، وفي البيت غموض .
٢ النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .
٣ اللقس : من لقت نفسه : غتت وخبثت .

وإني رأيت البُخل يُزري بأهله ،
فأكرمتُ نفسي أن يُقال بجيلى

وهن خيرِ حالاتِ الفتى ، لو علمته ،
إذا نال خيراً ، أن يكون يُنيل^١

فَعَالِي فَعَالُ الْمُكْثِرِينَ تَجْمَلًا ،
ومالي ، كما قد تعلمين ، قليل

وكيف أخافُ الفقرَ ، أو أُحرمُ الغنى ،
ورأيتُ أميرَ المؤمنين جميل^١ !

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله درّ
أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدّ أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقلّ فصولها !
وأمر له بخمسين ألف درهم .

فقال له إسحاق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري ، أحسن منه ،
فعلام آخذ الجائزة !

فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة الف درهم .

قال الأصمعي : فعلتُ يومئذٍ إن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني .

١ ينيل : يعطي .

شعره في حفيد ابن الربيع

كنت^١ عند الفضل بن الربيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبد الله
ابن العباس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأن أباه مات في
حياته ، فأجلسه في حبيبه وضّمّه إليه ودّعت عيناه ، فأنشأت أقول :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ،

حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هَذَا جَدًّا

مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدِّي ،

ثُمَّ يُفَدِّي مِثْلَ مَا تُفَدِّي^٢

أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَخَدًّا ،

وَشَيْئًا مَرَضِيَّةً ، وَمَجْدًا^٣

كَأَنَّهُ أَنْتَ ، إِذَا تَبَدِّي ،

شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قال : فتبسّم الفضل وقال : أمّتني الله بك يا أبا محمد ، فقد
عوّضت من الحزن سروراً وتسليت بقولك ، وكذلك يكون
إن شاء الله .

١ الحديث لاسحاق .

٢ مؤزر ومردى : أي ملثف بازار المجد وردائه .

٣ السنة : الوجه لصقالته وملاسته ، أو هي الجهة والجينان .

عيادته لابن الربيع

حدثني عمي عن إسحاق قال :

أتيت الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يهودونه ،
فقلت في مجلسي ذلك :

إذا ما أبو العباس عيِّدَ ولم يَعدْ ،
رأيتُ مَعُوداً أَكْرَمَ النَّاسِ عَائِداً

وجاء بنو العباس يبتدرونه ،
مِراضاً لما يشكوه مثنى وواحداً^١

يُفَدِّونَه ، عند السلام ، وكاشهم
مِجِلٌّ له يَدْعُوهُ عَمّاً ووالداً

قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي :
أعد يا أبا محمد ، فأعدت ، فأمرني فكتبتُها ، وسُرَّ بها وجعل يودِّدها
حتى حفظها .

يسترضي بشعر

أخبرني يحيى بن علي عن إسحاق قال :

١ يبتدرونه : يسرعون اليه .

جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني
الفضل بن الربيع بالمشير إليه ؛ فقلت له :

أقيم يا أبا الموثم ، وضحك ، تشرب ،
وتله ، مع اللاهين ، يوماً ، ونطرب
إذا ما رأيتَ اليوم قد جاء خيره ،
فخذهُ بشكرٍ واتركِ الفضلَ يفضبِ

فأقام عندي وسررنا يوماً ، ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سبب
تأخره عنه ؛ فحدثته الحديث وأنشده البيتين ، فغضب وحوّل وجهه عني ،
وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي
رقعة ؛ فقلت :

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دمتَ غضباناً ،
وما لم يعدْ عني رضاك كما كانا
فأحسِنُ ، فإنّي قد أسأتُ ، ولم تنزلْ
تعودني ، عند الاساءة ، إحساناً

قال : وأنشده إياهما ، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه .
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه ، فذكر
مثله وزاد فيه : فقلت في عون حاجبه :

عونُ يا عونُ ليس مثلك عونُ ،
أنت لي 'عدة' إذا كان كونُ

لكِ عندي والله ، إن رَضِيَّيَ الفضل ،
غلامٌ يُرضيك ، أو برؤُونُ

قال : فأتى عَوْنُ الفضل بالشعرين جميعاً؛ فقراها وضحك وقال :
ويضحك ! إنما عرض لك .

قال : قد وعداني ما سمعت ، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم
فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسوله فصيرتُ إليه فرضي عني .
حدثني الزبير بن دحمان قال :

دخلتُ يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ؛ فقال لي : قد عزمْتُ
غداً على الصَّبوح ، فصِرُّ اليَّ بُكرةً ؛ فكنْتُ أنا والصبحُ كفَرَسِي
رهان ؛ فلما أصبحتُ في غدٍ جعلت طريقي على إسحاق بن إبراهيم
فدخلتُ إليه ، فلما جلستُ قال لي : أقيم اليوم عندي .
فعرَّفته خبري .

فقال

أقيم يا أبا العَوَّام ، وَيُحَكِّ ، نشربِ ،
ونلِّه ، مع اللاهين يوماً ، ونطربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيره ،
فخذْه بشكر ، واتركِ الفضل يغضبِ

١ الحديث لابي محمد أحمد المكي .

فقلت : إني لا آمن غضبه ، وأنا بين يديك .
فقال لي : أنت تعلم أن صبوح الفضل أبدا في وقت غبوق الناس ،
فأقيم وارفق بنفسك ثم امض إليه .
فأجبتة الى ذلك ؛ فلما شربنا طاب لي الموضع ، فأقمت حتى
سكرت . وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكر إسحاق . انتهى .

يسقط المغنين

حدثني محمد بن المكّي المرتجّل قال : قلت لزور زور الكبير :
كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء^٢ معكم وأنت وإبراهيم بن المهدي^١
ومُخارقٌ أطيّبُ أصواتاً وأحسنُ نغمَةً ؟

قال : كنّا والله يا بُني فحضر معهُ فنجتهد في الغناء ونقيم الوهج^٣
فيه ويُقبل علينا الخلفاء ، حتى نطمع فيه ونظن أننا قد غلبناه ، فإذا
غنى عميل في غنائه أشياء من مداراته^٤ وحيدته ولطفه حتى يسقطنا
كلنا ويُقبّل عليه الخليفة دوننا ويميزه دوننا ويصفي إليه ، ونرى
أنفسنا اضطراراً دونه .

١ الحديث لجملة .

٢ ينفق على الخلفاء : يروج عندهم .

٣ نقيم الوهج : نختد في الغناء .

٤ مداراته : احتياله في تأدية الانعام .

تخنيته في الغناء .

حدّثنا جَحِيظَةُ قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدّثني أبي قال :
كان المفتون يجتمعون مع إسحاق وكتّهم أحسن صوتاً منه ، ولم
يكن فيه عيبٌ إلا صوته فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلطفه وحِدَقَه
ومعرفته حتى يغلبهم ويبدّهم جميعاً ويفضّلهم ويتقدّمهم .
وهو أولٌ من أحدث التخنيثَ ليوافق صوته ويشاكله ، فجاء
معه عجباً من العَجَبِ ؛ وكان في حلقة نبوّ^١ عن الوتر .
أخبرني يحيى بن عليّ : أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء
ولم يكن يُعرف ، وإنما احتال بحِدَقَه لمنافرة حلقة الوتر ، حتى صار
يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع .

المغنون في غيابه

كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاق معهم غنّوا هُوَيْتِي وهم
غير مفكرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجِدُّ .

غضب المأمون عليه

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كتّهم فيه فرضي عنه
ودعاه به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرض بين يديه واستقاله^٢ ؛

١ التخنيث ، من خنث الشيء : عطفه ، ولواه .

٢ استقاله : طاب منه ان يقيله .

فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زلّةٍ ،

ولا أنتَ بالعتَ في المَعْدِرَة

ولا أنتَ ولتيني أمرها ،

فأغفرَ ذنبك عن مَعْدِرَة

هكذا في الخبر ، وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي .

أبو الأشعث يعجب به

حدثني إسحاق قال :

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له
مخافته ورجاءه ، انك لمن طرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو
كان شبابٌ يُشترى لاشتريته لك ولو بإحدى يدي ، وإن في كبرك
لما زان الجليسَ وسره .

إسحاق وزهراء الكلابية

قالت لي^٢ زهراء الكلابية : ما فعل عبد الله بن خرداذبه ؟

فقلت : مات .

١ الحديث للحسين بن أبي طالب .

٢ الحديث لإسحاق .

فَقَالَتْ : غَيْرَ ذَمِيمٍ وَلَا لُئِيمٍ ، غَفَرَ اللَّهُ لَصَدَاقِهِ ١ ، لَقَدْ كَانَ يُحِبُّكَ
وَيُعْجِبُهُ مَا سَرَّكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ لَزَوْجِهَا : حَدِّثْنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَحَبُّكَ أَنْ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ فَارِكٌ
لَزَوْجِكَ ، إِنْ مَوْلَعٌ بِالْفَوَارِكِ ٢

مَا أَعْجَبَهُ مِنْ بَغْضِهَا لَزَوْجِهَا ؟

فَقَالَتْ : عَرَفْتَهُ أَنَّ فِي نَفْسِهَا فَضْلَةً مِنْ جَمَالٍ وَسَمِيحاً بِأَنْفِهَا
وَأَبِيَّةً ، فَأَعْجَبْتَهُ .

يَطْرَبُ الْمُعْتَصِمَ

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ :

أَنَّ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيَّ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَرَأَاهُ لَقِيَ
النَّفْسَ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَيِّبَ هَذَا الْيَوْمِ وَحُسْنَهُ !

فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ : مَا يَدْعُونِي حُسْنَهُ إِلَى شَيْءٍ بِمَا تَرِيدُ وَلَا أَنْشِطُ لَهُ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ يَوْمٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ ؛ فَاشْرَبْ حَتَّى

أَنْشِطَكَ .

١ الصدى : جسد الانسان بعد موته .

٢ الفارك من النساء : التي تبغض زوجها .

قال : أو تفعل ؟

قال : نعم .

قال : يا غلمان ، قدموا الطعام والشراب ومثثوا المتارة ،
وأحضروا الندماء والمغنين .

فأتي بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماء والمغنون ،
فغناه إسحاق :

سقيتَ الفيثَ يا قصرَ السلامِ ،
فنعيمَ محلةِ الملكِ الشامِ

لقد نَشَرَ الالهَ عليك نورا ،
ونخصتَ بالسلامة والسلام

الشعرُ والغناءُ لابراهيم الموصلي .

فطرب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلا
وصله وخلع عليه وحملاه ؛ وفضل إسحاق في ذلك أجمع

اول جائزة من الرشيد

أخبرني الحسن بن علي عن إسحاق قال :

أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم دخلتُ
إليه فغنيته :

عَلِقَ القلبُ بِزَوْعِ

١ زوع : من أسماء النساء .

فاستحسنه واستعماده ثلاث مرّات وشرب عليه ثلاثة أرطالٍ وأمر لي
بألف دينار ؛ فكان أول جائزة أجازنيها .

ساق قبيح الوجه

كان^١ أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصَنَّب ، فلما جلسوا
للشراب جعل الفيلمانُ يسقونَ منَ حضر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه
الى أبي بقندسٍ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ وراه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟
فكتب اليه أبي :

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحًا يُسَلِّسِلِهَا
مِنَ الشَّمُولِ ، وَأَتْبِعِهَا بِأَقْداحٍ^٢

مِنَ كَفِّ رِيْمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ ، رِيْقَتُهُ ،
بَعْدَ الضُّجُوعِ ، كَيْسِكَ أَوْ كَتْفُفِاحِ

لا أَشْرَبُ الرِّاحِ إِلا مَن يَدِي رَشِيًّا ،
تَقْبِيلِ راحَتِهِ أَشهى مَن الرِّاحِ

فضحك وقال : صدقتَ والله ؛ ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ ، تامّة

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

٢ الشمول : الخمر .

الحسن لطيفة الحصر في زيّ غلام، عليها أقبية^١ ومنطقة^٢ ، فقال لها :
تولّسي سقّي أبي محمد .

فما زالت تسقيه حتى سكير ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلّ ما لها في
داره إليه ، فحبّلت معه

زهراء الكلابية تناشده

كانت^٢ امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدّث إسحاق
وتناشده ، وكانت تميل إليه ، وتكسني عنه في عشيرتها ، إذا
ذكرته ، بجمل .

قال : فحدّثني إسحاق أنها كتبت إليه ، وقد غابت عنه ، تقول :

وجدي بجمل ، على أني أجمجمه ،
وجد السقيم ببراء بعد إدناف^٣

أو وجد تكلي أصاب الموت واحدها ،
أو وجد مغترب من بين الألف

قال : فأجبتُها :

-
- ١ الاقبية : شبه « الغنايز » .
 - ٢ الحديث لهلي بن الصباح .
 - ٣ أجمجمه : أكنمه وأخفيه .

أَقْرَبِ السَّلَامِ عَلَى الزَّهْرَاءِ ، إِذْ سَحَطَتْ ،
وَقِيلَ لَهَا قَدْ أَذَقْتَ الْقَلْبَ مَا خَافَا

أَمَّا رَثِيئَتِ لِمَنْ خَلَّفَتْ مَكْتَبًا ،
يُنْذِرِي مَدَامَعَهُ سَحَاً وَتَوَكَّافًا

فَمَا وَجَدْتُ ، عَلَى إِيْفِ أَفَارِقُهُ ،
وَجُدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ الْأَفَا

يُكْتَمُ قِصَّةَ إِشَارِ إِلَيْهَا

أَنْشَدَنِي^٢ إِسْحَاقُ لِنَفْسِهِ :

سَقَى اللَّهُ يَوْمَ الْمَاوِشَانِ وَمَجْلِسًا ،
بِهِ كَانَ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنْ جَنَى النَّسَجْلِ^٣

عَدَاةَ اجْتَنِينَا اللَّهُوَ عَضًّا ، وَلَمْ نُبَلِّ^٤
حِجَابَ أَبِي نَصْرٍ ، وَلَا عَضْبَةَ الْفَضْلِ

عَدَوْنَا صِحَاحًا ، ثُمَّ رَحْنَا كَأَثْنَا
أَطَافَ بِنَا شَرًّا شَدِيدًا مِنَ الْحَبْلِ

١ التوكاف : مصدر وكف الدمع : قطر قليلاً قليلاً .

٢ الحديث لمحمد بن مالك .

٣ الماوشان : موضع نزه في سفح جبل أروند من همدان .

٤ لم نبلي : لم نبال .

فسأله أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوسان ؟ فضحك
وقال : لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعنينك ؛ ولم يخبرني .

ابن الاعرابي يعجب به

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن الأعرابي :
أنه كان يصيف إسحاق الموصليّ ويقرّظه ويثني عليه ويذكر أدبه
وحفظه وعلمه وصدقه ، ويستحسن قوله :

هل الى أن تنام عيني سبيل ؟
إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويل !

غاب عني من لا أسمي ، فعيني ،
كلّ يوم ، وجداً عليه تسيل

قال : وكان إسحاق إذا غناه تفيض دموعه على لحيته ويبكي
أحرّ بكاء .

الأول والآخر

أخبرني الصوليّ عن حمّاد بن إسحاق قال :
أوّل صوت صنعه أبي :

إني لأكنني بأجبالٍ عنّ اجبلها ،
وباسم أوديّةٍ عن اسم واديا

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفِ نُحَيِّ الْمَغَانِيَا ،
وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

ثم قطع الصنعة حتى أمره الواثق بأن يعارض صنعته في :

لقد بَجَلْتُ حتى لوَ اني سألتها

يتهم بالانتحال

قال حمّاد : وجدّني أبي قال :

كان المغنّون يجسدونني مُذْ كُنْتُ غلاماً ، فلمّا مات أبي صنعتُ

هذا الصوت ، فهو أوّل صوت صنعته بعد وفاته ، وهو :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفَتَ الطُّلُولَا
بِذِي مُحْرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

فقالوا للرشيّد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله .

فقال لي الرشيّد في ذلك ؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيراً منه لهم

فقال : اصنع في شعر الأخطل :

أَعَاذِلْنِي الْيَوْمَ ، وَيُحَكِّمَا ، مَهْلَا ،
وَكُفْنَا الْأَذَى عَنِّي ، وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا ،
وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنه بي .

وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قوله :

كنت صَبّاً ، وقلبي اليومَ سالٍ ،
عن حبيبٍ يُسيءُ في كلِّ حالٍ

وذكر أنّ الفضل بن الربيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه
وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل .

وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوليّ عن حمّاد بن إسحاق قال :
أولُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي :

ألم تسألُ فتُخبرَكَ المَعاني ،
وكيف ؟ وهنَّ مُدَّ حِجَجٍ ثَماني !^١

بَوِئْتُ من المنازل ، غيرَ شوقٍ
إلى الدار التي بِلوى أبان

ديارُ التي لَجَلَجَتُ فيها ،
ولو أعربتُ لَجَّ بها لساني^٢

فكادَ يَظَلُّ للعِينين غَرَبُ
بورْبَعِي دِمْنَةٍ لا يَنْطِقَان

١ يريد : وكيف يخبرك وهن منذ ثمان سنين خاليات ؟ وفي الكلام إيجاز حذف واكتفاء

٢ لجلجت : ترددت في الكلام .

قال : فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيدي : هذا من صنعة أبيه
انتحلته بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أدعُ لهم هذا ومائة صوتٍ بعده ؛
ثم نظروا الى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

قِفْ نُحَيِّ الْمَغَانِيَا ،
وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

وعلى أهلها فنح ،
وابكٍ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين .

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتِ الطُّلُولَا
بِذِي نُحْرُضٍ ، مَائِلَاتٍ مُثُولَا

بَلِيَيْنَ ، وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ ،
عَنْ فَرَطٍ حَوْلَيْنِ ، رَقًّا مُجِيلَا

الشعر لكعب بن زهير

أَعَاذِلْتِي الْيَوْمَ ، وَيُحَكِّمَا ، مَهْلَا ،
وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي ، وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا

١ تقدم شرح هذه الابيات في الصفحة ٣٧ .

دعاني تَجِدُّ كَفِّي بِمَالِي ، فَإِنِّي
سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُوداً وَلَا بُخْلاً

إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الصَّفِيحِ جُنَادلاً
عَلِيٌّ ، وَخَلَّفَتْ الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلَا

فَلَا أَنَا مَجْتَازٌ ، إِذَا مَا نَزَلْتُهُ ،
وَلَا أَنَا لَاقٍ ، مَا تَوَيْتُ بِهِ ، أَهْلَا

الشعر للأخطل .

إِنِّي لِأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبِلِيهَا ،
وَبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنَ اسْمِ وَادِيهَا

عَمْداً لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِمَةً
أُخْرَى ، وَتَحْسَبُ أَنِي لَا أَبَالِيهَا

وَلَا يُغَيِّرُ وُدِّي أَنْ أَهَاجِرَهَا ،
وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَنْوِيهَا

وَلِلْقَلْبُوصِ وَلِي مِنْهَا ، إِذَا بَعُدَتْ ،
بِوَارِحِ الشُّوقِ تُنْضِيْنِي وَأَنْضِيهَا ٢

الشعر لأعرابي .

١ الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر الجنادل : الحجارة .

٢ تنضيبي وأنضينا : تبليبي وأبليها .

حديثه بشأن الأهزاج

قال إسحاق للوائح يوماً : الأهزاج من أمْلَحِ الغناء ؛ فقال الوائح :
أما إذا كانت مثل صوتك :

إني لأُكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبُلِهَا ،
وباسم أوديةٍ عن اسم وادِهَا

فهي كذلك

غناؤه ابن طاهر

قال إسحاق : بعث إليّ طليحةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة
للشُّراة^١ وقد أصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أجب .
فقلت : وما يعمل ؟

قال : يشرب .

فمضيت إليه فاذا هو جالسٌ قد عصب ضربته وتقلّنتس
بقلّنتسوة ؛ فقلت له : سبحان الله أيها الأمير ! ما حملك على لبس هذا ؟
قال : التبرُّم بغيره ؛ ثم قال : غنّ :

إني لأُكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبُلِهَا

١ الشراة : الخوارج .

قال : فغنيته إياه ، فقال : أحسنتَ والله ! أعيدُ !
فأعدتُ وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا أغنيته ؛ فأقبل علي
خادم له بالحاضرة وقال له : كم عندك ؟
قال : مقدارُ سبعين ألفَ درهم .
قال : تُحمل معه .

فلما خرجتُ من عنده تبِعني جماعةٌ من الغلمان يسألونني ،
فوزعتُ المالَ بينهم ؛ فرُفِعَ الخبرُ إليه فأغضبه ولم يوجهه إليّ ثلاثاً ؛
فجلستُ ليلاً وتناولتُ الدواءَ والقرطاسَ فقلتُ :

علّمني جودك السّماحَ ، فما
أبقيتُ شيئاً لديّ من صلّتكُ

لم أبقِ شيئاً ، إلّا سمحتُ به ،
كأنّ لي قدرةً كمقدّرتك

تُتلفُ في اليوم ، بالهباتِ ، وفي السّاعة
ما تجنيه في سنّتك

فلستُ أدري من أين تُنفقُ ، لولا
أنّ ربّي يجزي عليّ صلّتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرتُ إليه ودخلتُ عليه

فسلّمت ؛ فرفع بصره إليّ وقال : اسقُوهُ رطالاً؛ فسُقِيَتْهُ ، وأمر لي
بآخرَ وآخرَ فشربتُ ثلاثاً ، ثم قال لي : غنّ :

إني لأكفي بأجبالٍ عن أجبالِها

فغنّيته ثم أتبعته بالأبيات التي قلتها ، وقد كنتُ غنّيتُ فيها
لحناً في طريقة الصوت .

فقال : ادنْ ؛ فدنوت ، وقال : اجلس ؛ فجلست ، فاستعاد الصوتَ
الذي صنعه فأعدته . فلمّا فهمه وعرف معنى الشعر قال لخدم له :
أحضِرني فلاناً ؛ فأحضره ، فقال : كم قبيلك من مال الضيّاع ؟

قال : ثمانمائة ألفِ درهم .

فقال : احضِرْ بها الساعة .

فجيء بثمانين بدرة .

فقال للخدم : جئني بثمانين غلاماً مملوكاً ؛ فأحضروا ، فقال :
احملوا هذا المال .

ثم قال : يا أبا محمد ، نخذ المال والممالك حتى لا تحتاج أن تُعطي
لأحد منهم شيئاً .

مهاجراته محمد بن راشد

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الحسين بن محمد بن
طالب قال :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثير الفِشيان لإسحاق بن إبراهيم ابن مُصْعَب والحضورِ لِسَمَرِه ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسني جوائزَه ويؤاتِرُ صَلَاتِه ويشاوره في بعض أمورِه ويسمع منه ؛ فأصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ، فترك زيارةَ إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته .

وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قَطْرَبُثْل وخرج معه ندماءؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرَة ومحمد بن راشد الختّاق والخَرَاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاق الموصليّ ، فتوجع له إسحاق وذكر أنسَه به وتمنى حضوره ، وذكره القومُ فأطنبوا في نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حسُن موقعه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه ، وبزجره إسحاق ، فأمسك عنه .

فلما انصرفوا من مجلسهم نُمي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح :

ألا قُلْ لموسى الخَيْرِ موسى بنِ صالحٍ ،
ومن هو دون الخَلْقِ إلفي وخلِصَانِي^٢

ومن لو سألت الناسَ عنه لأجمعوا
على أنه أفتى معدّي وقَحْطَانِ^٣

١ يواتر : يتابع .

٢ الخِصَان : الخالص من الأصدقاء .

٣ أفتى : أفل تفضيل من الفتوة وهي الكرم والمروءة .

لَعَمْرِي ، لئن كان الأميرُ قمتاني
بمجلسِ لذاتٍ ونزْهَةٍ بستانِ

لقد زادني ما كان منه صبايةً ،
وجددَ لي شوقاً إليه وأبكاني

وما زال يمتنأ عليّ يخصني
بما لستُ أحصي من أبادٍ وإحسانِ

هو السيد القرم الذي ما يرى له
من الناسِ ، إن حصلتَه ، أبداً ثاني

نمته روائي مُصعب ، وبني له
كريمُ المساعي ، في أرومته ، باني

يعزُّ عليّ أن تفوزوا بقربه ،
ولستُ إليه بالقرب ولا الداني

فيا ليت شعري هل أروحن مرةً
إليه ، فيلقاني كما كان يلقاني

وهل أرين يوماً غضارةً ملكه ،
وسلطانه ، لا زال في عزِّ سلطانِ

وهل أسمعنُ ذلك المزاح ، الذي به ،
إذا جئتُه ، سلّيتُ همّي وأحزاني

إذا قال لي « يا مَرْدَمِي خِرْ » وكرّها
عليّ ، وكتّاني ، مُزاحاً ، بصَفْوَانِ

هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل اشرب النبيذ .

فيا لك من مَلَهَيّ أنيقٍ ، ومجلسٍ
كريمٍ ، ومن مَزَحٍ كثيرٍ بألوانِ

وهل يَغْبِرُنْ بي ذوالهَنَاتِ ابنُ راشدٍ ،
وذاك الكَرِيمُ الجَدُّ من آلِ حَرَّانِ

وهل أَرَيَنَّ موسى الكَرِيمِ ، ابنَ صالحٍ ،
يُنَازِعُنِي صوتاً ، إذا هو غَنَّانِي

يريد الغناء في :

فلم أَرَ كالتَّجْمِيرِ ، مَنظَرَ ناظِرٍ ،
ولا كلبالي النَّقْرِ أَفْتَنَ ذا هوى

إذا صاح بالتَّجْمِيرِ ، ثم أعاده ،
بتحقيقِ إعرابٍ صحيحٍ وتبيانِ

أولئك إخواني الذين أحببهم ،
وأوثرهم بالودِّ من بين إخواني

١ التجمير : رمي الجمار . النفر : ففور الحجاج الى مكة . وكلا الامرين من مناسك الحج

وما منهم إلا كريمٌ مهذبٌ ،
حبيبٌ الى إخوانه ، غيرٌ تخوانٍ

فأجابه محمد بن راشد :

بعثتَ بشعرٍ فيه : أن رسالةً
أتتك لموسى عن جماعة إخوانٍ

بشوقٍ وذكرٍ للجميل ، ولم يكن
لموسى ، لعمري ، في سلامته ثاني

ولكن نطقنا بالذي أنت أهله ،
وما تستحق من صديقٍ وندمانٍ

وموسى كريمٌ لم يُحيطُ بك خبره ،
كخبرِ ندامى قد بلّوك وإخوانٍ

ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ
فسدتَ عليه من خليلٍ وخلصانٍ

ولم يعرّه شوقٌ إليك ولم يجدْ
لفقدك مساً عند نزهة بستانٍ

حمدتَ الندامى كلهم غيرَ إنسانٍ ،
ألا إنما يجني على نفسه الجاني

فَلَا تَعْتَبِ الْإِخْوَانَ ، مِنْ بَعْدِهَا ، فَمَا
تَنْقُصُ إِخْوَانَ الْمَوَدَّةِ مِنْ شَأْنِي

قال : فأجابه إسحاق :

عَجِبْتُ لِمَخْذُولٍ تَعْرِضُ ، جَانِبًا ،
لِلَّيْتِ أَبِي سِبْلِينَ مِنْ أُسْدِ خَفَّانِ ١

أَتَانَا بِشَعْرٍ ، قَالَ ، مِثْلَ وَجْهِهِ ،
تَزَخَّرَفَ فِيهِ وَاسْتَعَانَ بِأَعْوَانِ

فَجَاءَ بِالْفَاطِ ضَعْفٍ ، سَخِيفَةٍ ،
وَمَضَّغَهَا تَضْيِغَ أَهْوَجِ سَكَرَانِ

دَعُّوا الشَّعْرَ لِلشَّيْخِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ ،
وَإِلَّا وَسِمَةً ، أَوْ رُمَيْتَ بِشُهِبَانِ ٢

فَإِنَّكُمْ وَالشَّعْرَ ، إِذْ تَدْعُونَهُ ،
كَمُعْتَسِفٍ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ حَيْرَانِ

صَه ! لَا تَعُودُوا لِلْجَوَابِ ، فَإِنَّمَا
تُرَوِّمُونَ صَعْبًا مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ ٣

-
- ١ خفان : مأسدة قرب الكو .
٢ وسيم : من وسمه إذا ترك فيه اثراً بالكى . والمراد تركت عليكم آثار الخذلان . شهبان ،
واحدها شهاب : الكوكب المنقض . والمراد أو ترجمون بالشهب كما ترجم الشياطين ،
الذين كانوا يحاولون استراق السمع من الملائكة .
٣ الشماريخ : رؤوس الجبال وأعاليها . ثهلان : جبل باليمن .

أنا الأسد الورد ، الذي لا يفكته
تظاهرُ أعداءٍ ، عليه ، وأقران^١
ومن قد أردتم جاهدين سقاطه ،
فأعياءكم في كل سرّ وإعلان
لعمري ، لئن قلت بما أنا أهله ،
ليستنفدن القول تعظيمكم شاني
وجاهدكم إيتاي ما تعلمونه ،
وإقراركم عندي بذلك سيان
ألا يزجر الجهال عنا أميرنا ،
وموسى وذاك الشيخ من آل حرّان
ولا سيما من بان للناس شره ،
فما يتماهى في مذاهبه اثنان

الثناء عليه

قال لي^٢ محمد بن عمر الجرجاني ، وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته :
ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غرّةً

١ الورد : الجري .

٢ الحديث ليعقوب بن إسرائيل قرقارة .

في زمانه، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً ووقاراً ووفاءً وجودةً
رأي وصحةً مودةً . كان والله يُخرِسُ الناطقَ إذا نطق، ويُحَيِّرُ
السامعَ إذا تحدّث ، لا يَمَلُّ جليسهُ بجليسه ، ولا تَمُجُّ الآذانُ حديثه ،
ولا تنبو النفوسُ عن مطاولته . إن حدثتُك أهلك ، وإن ناظرتُك أفادك ،
وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خصلةً من الأدب ولا جنساً من
العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِّمُ أحدَهُ على مُساجلتِهِ ومباراته .

يغني المأمون

أمر المأمون يوماً بالفَرشِ الصَّيفيِّ أن يُخرَجَ ؛ فأخرج فيما أخرج
منه إسطاً طبريًّا أو أصبهبذانيًّا^١، مكتوب في حواشيه :

لَجَّ بالعين واكفُّ،

من هَوَى لا يُسَاعِفُ

كلِّما جَفَّ دمعُه،

هيَّجته الممازِفُ

إنما الموتُ أن تَفَا

رقَّ مَنْ أنت آلفُ

١ اصبهبذان : مدينة في بلاد الديلم .

لك حُبَّان في الفؤاد
تَلِيدٌ وطَارِفٌ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث الى إسحاق فأحضره
وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها المَزَج الذي يُغَنِّي
به اليوم . قال أحمد : وسمعتها أبي منه فقال : لو كان هذا المَزَج
لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن . يريد أن حكماً كان صاحب الأَهْزَاج .

مدحه عند الواثق

تذاكرنا يوماً عند أبي صنعة إسحاق ، وقد كنا بالأمس عند
المأمون ففتناه إسحاق لحناً صنعه في شعر ابن ياسين :

الطُّلُولُ الدُّوَارِسُ

فَارَقَتْهَا الأَوَانِسُ

أَوْحِشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا ،

فَهِيَ قَفْرٌ بَسَابِسُ^٢

قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا الكفى ،
« الطلول الدوارس » كلمتان ، و« فارقتها الأوانس » كلمتان ، وقد

١ الحديث لابن المكي .

٢ البسابس ، واحدها بسبس : القفر .

عسىٰ فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسجح ورجع النعمة واستوفى ذلك كله في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمن شاء فليفعل مثلاً هذا أو ليقاربه .

ثم قال : إسحاقُ والله في زماننا فوق ابن سريج والغريص ومهبد ، ولو عاشوا حتى يروا لعرفوا فضله واعترفوا له به .
وأخبرني عمي عن يزيد بن محمد المهلبى : أنه كان عند الواثق فغنته سحبا هذا الصوت ؛ فقال الواثق مثل هذا القول . والمذكور أن ابن المكى قاله ؛ فلا ادري أهذا وهم من يزيد ، أو اتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، أو اتفقت عليه قريحتاهما .

يعجب بغناء خباز

أرسل^١ إلى الفضل بن الربيع يوماً وإلى الزبير بن دحمان ، فوافق مجئنا شغلاً كان له ، فصرنا إلى بعض حجره ، فنعست فميت فاذا الزبير يجر كني فانتبهت فاذا خباز^٢ في مطبخ الفضل يضرب بالشوبق^٣ يغنى :

بدير القائم الأقصى
غزال سفتني ، أحوى^٣

١ الحديث لاسحاق .

٢ الشوبق : خشبة الخباز (الشوبك) .

٣ دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات

بَرَى حَبِّي لَه جَسْمِي ،
وَمَا يَدْرِي بِمَا أَلْقَى

وَأَخْفِي حَبِّه جُهْدِي ،
وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

الشعر والغناء لاسحاق .

قال : فقال لي الزُّبير : تَضَنُّ بِهَذَا وانظر من يبتدله !
فقلت : لا أَضَنُّ بِغَنَاءِ بَعْدَ هَذَا .

يستحسن اصواته من غيره

كثراً أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنِّين ،
فيهم إسحاق وعلويه ومُخَارِق وعمر بن بانه ؛ فغنى مَخَارِق في
الثقل الأول :

أَعَاذُ ! لَا آلُوكَ ، إِلَّا خَلِيقَتِي ،
فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكَ مِبْرَادَا

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا ، وَلَا يَكُنْ
لِي الْمَالُ رَبًّا ، تَحْمَدِي غِبِّه غَدَا

١ الحديث لصالح بن الرشيد .

ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وَقَايَةً ،
يَبْقِي المَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا

ألم تعلمي آني ، إذا الضيفُ نابني
وعزَّ القَرِي ، أقري السيدف المسرهدا^١؟

فقال له المأمون : لمن هذا اللحن ؟

قال : لهذا الهزَّبُ الجالس ، يعني إسحاق .

فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأعدِ الصوت .

فقام فجلس بين يديه وأعادَه فأجاده ، وشرب المأمون عليه وطلاً ؛

ثم التفت الى إسحاق فقال له : غنَّ هذا الصوت .

فغناهُ فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدورُ الى

عَلَّويهِ ، فقال له : غنَّ

فغنى أيضاً :

أرَيْتُ اليَوْمَ نَارَكِ لَمْ أَغْمَضْ

بِوَأَقِصَةِ ، وَمَشْرَبُنَا بَرُودُ^٢

فلم أرَ مثلَ موقِدها ، ولكن

لأَيَّةِ نَظَرَةٍ زَهَرَ الوَقُودُ^٣

١ السيدف : السنام أو شحمه . المسرهد : المقطع أو الثمين .

٢ واقصة : منزل بطريق مكة . البرود : البارد .

٣ زهر الوقود : أضاءت ناره .

فبتُّ بليلةً ، لا نومَ فيها ،
أُكَبِدُهَا وَأَصْحَابِي رُقُودُ

كَأَنَّ نَجْمَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ
وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَزِيدُ

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟

فقال : لهذا الجالس ، وأشار الى إسحاق

فقال لعلّويه : أعيدُه ؛ فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق :

غَنَّتْهُ ؛ فغَنَّتَاهُ ، فلم يطرَب له طَرَبَهِ لعلّويه . فالتفت إليّ إسحاق ثم

قال لي : أيها الأمير ، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسٌ لَسَجَاجٍ

وجِدَالٍ لأعلمتُه أنه طرب على خطأ ، وأنّ الذي استحسنته إنما هو

تَزَايِدٌ^٢ منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئته ، وأنّ الصوت ما غَنَّتْهُ

لا ما زادا .

ثم أقبل عليهما فقال : يا مَخْنَثَانِ ، قد علمتُ أنكما لم تُرِيدَا بما

فعلتاه مدحي ولا رفعتي ، وأنا على مكافآتكما قادر .

فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيتَه من طَرَبِي لهما إلا

استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .

١ يريد أن ليالته طويلة لا تنقضي .

٢ التزايد : تكلف الزيادة .

بين يدي المعتصم

دخلت^١ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه طبيباً
مذبذبة وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس
والفناء ؛ فجلست^٢ وغنيت^٣ :

اشتبهينا ، في ربيع مرة^٤ ،
زهَمَ الوحش على لحم الأيل^٥

فغدونا بطوال هيكل^٦ ،
كعسيب النخل مباد خضيل^٧

الشعر يقال انه لأعشى همدان .

فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الأيل ! فغنيت^٨

ليس الفقى فيهم ، إذا
شرب الشراب ، مؤنّباً

لكن يروح^٩ مرنحاً ،
حسن الثياب ، مطيّباً

١ الحديث لاسحاق .

٢ الزهم : شحم الوحش من غير ان يكون فيه زهومة ، اي كراهة ربيع او تغير .

٣ الهيكال : الضخم من الحيوان . العسيب : جريدة النخل . المباد : المتأيل . الخضيل : الندي .

يسقونه حِرْفاً على
لحم الظباءِ مُضَهَّباً^١

فقال : هذا أشبه ؛ وشرب . ثم غنَّيته بشعر وضَّاح اليمن :

أبي القلبُ السَّياني ،
الذي تُحَمِّدُ أخلاقه^٢

ويرفُضُ له اللحنُ ،
فما تفتتقُ أرتاقه^٣

غزالُ أدعجُ العين ،
رَبِيبُ ، خَدَلَجُ ساقه^٣

رَماني ، فسبى قلبي ،
وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال : هذا والله أحسن صيد والذُّه ؛ وشرب عليه بقيَّة
يومه وخلع عليّ وأمر لي بجائزة

دقته في الوصف

حدَّثني عمي قال : حدَّثني فضُّلُ اليزيديِّ قال :

١ المذهب : المقطع .

٢ ارتاق ، واحدها رتق : الشق . ورتق الشق : اصلحه وضم بعضه الى بعض .

٣ الخداج : الممتلىء الساقين ، ومنع ربيياً من الصرف ليستقيم الوزن

قال لي إسحاق يوماً في عرض حديثه : دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميصٌ ديبقي^١ . كأننا قد من جرّم الزهرة^٢ ؛ فضحكك ؛ فقال : ما أضحكك ؟

فقلت : من مبالغتك في الوصف فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً

يتبرم باسم مغن

قال لي^٣ إسحاق : وددت أن كل يوم قيل لي : غنّ ، أو قيل لي عند ذكرني : المغنّي ، ضرب رأسي خمسة عشر سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقل لي ذلك .

لحن على لحن أذان

أخبرنا يحيى قال : حدثنا حمّاد قال : صنع أبي لحنه في « تشكّي الكميّت الجري » على لحن أذان سميعه .

حفظه للاهزاج

وتذاكرنا يوماً الهزج عند المأمون ؛ فقال عمرو بن بانه : ما أقله في الغناء القديم !

١ ديبقي : منسوب الى ديبق وهي بلدة كانت بين الفرما وتيس من اعمال مصر .
٢ الزهرة: كوكب من السيارة معروف
٣ الحديث لمحمد بن مالك .

فقال إسحاق : ما أكثره فيه !

ثم غنّاهم ثلاثين هزجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد ، ما عرفوا
جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات .

ذل المغنين له

قلت^١ لزُرزور : ما لكم تَدِثُونَ لاسحاق هذا الذلّ ، وما فيكم
أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه ، وما في صنائعكم وَصمة !
فقال لي : لا تقل ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتمنا ورأيتنا
نذوب كما يذوب الرصاص في النار !

خلاف على الرد

حدّثني^٢ إسحاق قال :

لأعبت الفضل بن الربيع بالثرد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف
وحلفت ، فغضب عليّ وهجرني ، فكتبت إليه :

يقول أناسٌ شامتون ، وقد رأوا^١
مُقامي وإغبائي الرواح إلى الفضل^٣

١ الحديث لعافية بن شبيب

٢ الحديث لعون بن محمد

٣ الاغياب : زيارة القوم يوماً وتركهم يوماً

لقد كان هذا شخصاً بالفضل مرةً ،
فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولو كان لي في ذلك ذنبٌ علمته
لنقطعت نفسي بالملامة والعدل

وعرضت الأبيات عليه ؛ فلما قرأها ضحك وقال : أشدُّ من ذنبك
أذاك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ؛ والله لولا أنني أدبتك أدبَ
الرجل ولده ، وأن حسنك وقبيحك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصلح
الآن قلبَ عون ؛ وكان يحجبه .

فخطبته في ذلك فكلمني بما كرهت ؛ فقلت : أتدخل بيني وبين
الأمير أعزه الله !

ثم علمت أنه لا يتم لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون ،
فقلت فيه

عَوْنُ يَا عَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ عَوْنُ
أَنْتَ لِي عُودَةٌ ، إِذَا كَانَ كَوْنُ

لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ ، إِنْ رَضِيَ الْفَضْلُ ،
غَلَامٌ يُرْضِيكَ ، أَوْ بِيرِذُونُ

فدخل الى الفضل فترضاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون !
إنه والله إنما هجأك وأنت ترى أنه قد مدحك ، هذا تعريض بك .
قال : فكيف أصنع به مع محله عند الأمير !

شكاية المأمون اليه

أخبرني الصَّوْلِيّ عن إِسْحَاقَ ، قال :

استدناني المأمون يوماً وهو مُسْتَلْتَقٍ على فِرَاشٍ حتى صارت ركبتي على الفراش ، ثم قال لي : يا إِسْحَاقَ ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّ جماعةً من خواصّه .

فقلت له : أنت يا سيّدي بتفضّلك عليّ وحسن رأيك فيّ ظننتُ أنّي بمن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدّي ، وهذا رأيٌ يَجِلُّ عني ولا يبلغه قدري .

فقال : ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟

فقلت : هذه المنزلة عند سيّدي علّمتني ألاّ أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلب إلاّ ما أنال

فضحك وقال : قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك

فقلتُ : يا سيّدي ، ما سمعه أحدٌ إلاّ جوارِيّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه

فقال : غنّه

فقلتُ : الهيبةُ والصُّحُو يمنعانني أنْ أوذّيه كما تريد ، فلو آنس

أمير المؤمنين عبده بشيء يُطربه ويقوي به طبعه كان أجود .
قال : صدقت .

ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارة ففُنّسي من ورائها وشربنا
أقداحاً ؛ فقال : يا إسحاق ، أمّا جاء أوان ذلك الصوت ؟
فقلت : بلى يا سيّدي ؛ وغنّيته لحني في شعر الراعي :

ألم تسأل ، بعارمة ، الديارا
عن الحيّ المفارقِ أين صاراً ؟^١

بلى ساءلتها ، فأبت جواباً ،
وكيف تُسائل الدّمّن القِفارا ؟

قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا
إسحاق ، لا تطلبَ بعد وجود البُعْية ، ما أشرب بقيّة يومي هذا إلاّ
على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلّع عليّ خِلعةً من ثيابه .

مدح أعرابية له

كانت^٢ أعرابية تقدّم عليّ من البادية فأفضّل عليها ، وكانت فصيحة ؛
فقلت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في عِلمك

١ عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد .

٢ الحديث لاسحاق .

وُلدتَ فينا ونشأتَ معنا . ولقد أريْتَنِي نَجْداً بِفِصاحتِكَ ، وأحللتَنِي
الرُّبِيعَ بِسِماحتِكَ ؛ فلا اطْرَدَ لي قولٌ إلاّ شَكَرتُكَ ، ولا نَسَمْتُ
في رِيحٍ إلاّ ذَكَرتُكَ .

معاقبته لمهاجر له

كانت^١ بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ
ببابه يوماً ، فتذممتُ^٢ أن أجوزَه ولا أدخلُ إليه ، فدعوتُ بدواةٍ
وفيرطاس وكتبتُ إليه :

رجعنا بالصفاء الى الخليلِ ،
فليس الى التَّهاجرِ من سبيلِ .
عتابٌ ، في مُراجعةٍ ، وصفحٌ ،
أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميلِ

قال : ووجهتُ بالرُّقعة وقصدتُ بابَه ، فخرج إليّ حتى تلقاني ،
ورجعنا الى ما كنا عليه .

صدقه في الاخبار

حدّثني الصُّوليُّ عن الهشاميِّ قال

١ الحديث لاسحاق .

٢ تذمت : استنكفت .

كان أهلنا يعتبرون^١ علي إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره،
بأن يجلسوا كالتبتين فهيمتين خلف الستارة ، فتكتبان ما يقوله
وتضبطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك
المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأها من دفتر،
فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ .

مخطي علويه

حدثني الصّولي عن إسحاق قال
كنّا عند المأمون ، ففتناه علّويه

لعبيدة دارّ ، ما تكلمنا الدارّ ،
تلكوح مغانها ، كما لاح أسطار
أسائل أحجاراً ونوياً مهدّماً ،
وكيف يردّ القول نوياً وأحجاراً^٢!

الشعر لبشار والغناء لإبراهيم

قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟

فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه علويه

١ اعتبر الشيء : اختبره ونظر فيه ورده الى نظيره فحكم عليه بحكمه
٢ النووي : الحفير أو الحاجز حول الحياء أو الحيمة يدفع عنها السيل

قال : فغنته أنت .

فغنتيه ، فاستعادنيہ مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثل قول جرير :

وابن اللبون ، إذا ما لُزَّ في قران ،
لم يستطع صولة البزل القناعيس^١ .

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم

حواره مع علويه

كان^٢ إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو وليَّ عهده
أو رجلاً من الطاهريَّة مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته . فاجتمعنا عند
الواثق وهو وليَّ عهد المعتصم ، فاشتبهى الواثق أن يُضرب^٣ بين
مخارق وعلويه وإسحاق ، ففعل حتى تهاتروا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف
هما الآن عندك ؟

فقال : أما مخارق فمُنَادٍ طيِّبُ الصوت ؛ وأما علويه فهو خير

١ ابن اللبون : ولد الناقة ، لز : شد ولصق . القرن : الحبل . البزل ، واحدها بازل :
البعير الذي فطر نابسه ، أي انشق . القناعيس ، واحدها قنعاس : الجمل الضخم
العظيم الشديد .

٢ الحديث لجد أبي العباس بن حمدون .

٣ التضريب : الاغراء .

حِمَارِي الْعِبَادِي^١ ، وهو على كل حال شَيْبِي^٢ ، يريد تصغيره .
فوثبَ علويه مُغْضَبًا ، ثم قال للوائق : جواريه حرائرُ ونساؤه
طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقَّ أبيك ، أن يصدقَ عمَّا أسأله
عنه ، لأتوبنَّ عن الفناء ما عِشْت

فقال له الواثق : لا تُعَرِّبِ يا عليّ ، نحن نفعَل ما سألت ؛ ثم
حَلَفَ إِسْحَاقُ أَنْ يَصْدُقَ فَحَلَفَ

فقال له : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ الْيَوْمَ صِنْعَةً بَعْدَكَ ؟

قال : أنت .

قال : فمَنْ أَضْرَبُ النَّاسِ بَعْدَ تَقْيِيفٍ ؟

قال : أنت .

قال : فمَنْ أَطِيبُ النَّاسِ صَوْتًا بَعْدَ مُخَارِقٍ ؟

قال : أنت .

قال علويه لاسحاق : أهذا قولك فيّ وأنت تعلم أني مُصَلِّي^٣ كل
سابق فاضل ، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا
يكون ! فما أنت وغناؤك الذي لا يُسْمَعُ انخفاضاً !

١ يشير بهذا الى المثل المشهور ، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حماران ، فقيل له : أي
حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر . يضرب هذا المثل
في خلتين أحدهما شر من الأخرى .

٢ شيبى : تصغير شيبى .

٣ المصلي : التالي للسابق من خيل السباق . والسابق : الاول .

فغضب إسحاق ، وانتهر الواثقُ علويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً
فنقل مثناه الى موضع البسم^١ ، وزيره الى موضع المثلث^٢ ، وجعل
البسم^٣ والمثلث مكان الزير والمثنى ، وضرب وقال : ليفن من شاء منكم .
ففننى مخارق عليه :

تَقَطَّعَ مِنْ ظِلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ ،
أَخِيراً ، عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يبين في الأوتار خلاف ولا عقيد من
الايقاع شيء ولا بان فيه اختلال ، فعظم عجب الواثق من فعله ؛
وقام إسحاق فرقص طرباً ، فكان والله أحسن رقصاً من كُبَيْش
وعبد السلام ، وكانا من أرقص الناس ، فقال الواثق : لا يكمل أحدٌ أبداً
في صناعته كمال إسحاق .

ابن طاهر يمدحه

دخلت^٣ على عبد الله بن طاهر وهو يُبْلَعِبُ إبراهيم بن وهب
بالشَّطْرَنْجِ ، فغلبه عبد الله ، وأوما إليّ بأن أكايده ؛ فقلت :

١ المثنى : من الأوتار ما بعد الاول . الم : الوتر الغليظ .
٢ المثلث : من الأوتار ما كان على ثلاث طاقات او هو الثالث منها . الزير : الدقيق من الأوتار
او أحدها .
٣ الحديث لاسحاق .

قد ذهب^١ منك ، أبا إسحاق ،
مثلَ ذهابِ الشهرِ بالمُحاقِ

فقال لي عبد الله : إنَّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا ، كما قال
الشاعر في إبله :

إذا أتاه طالبٌ يستامها ،
تكاثرت في عينه كرامها

الواثق يأخذ لحنه

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق قال :
أنشدتني أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ ،
فاستحسنتهما ، وصنعت فيهما لحناً غنّيته الواثق ؛ فاستعاده حتى أخذه ،
وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما :

عسى الله ، يا ظمياء ، أن يعكس الهوى ،
فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراءً فتحتاجي إليّ ، فتعلمي
بأني به أجزيك حين غنيت

١ المحاق : آخر الشهر إذا احق الهلال فلم ير .

يضرب على عود مشوش

كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خَلَوَا فهما أخوان ،
وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند
المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إن إبراهيم يشلبك
ويغض منك^٢ ويقول إنك تقول : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ،
ويتضحك منك .

فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ،
وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجه وتخريجي ! ولكن قلت :
إن مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا
يبقي عليه ويتغير في كل حال ، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً
لمن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكنني أفعل الساعة فعلاً
إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فليست أحسن شيئاً ، وإلا فلا ينبغي له
أن يدعي ما ليس يحسنه .

ثم أخذ عوداً فشوش أوتارَه ، ثم قال لإبراهيم : غنّ على هذا أو
يغنّي غيرك وتضرب عليه .

١ تكاشحا : تعاديا .

٢ بغض منك : يضر من قدرك .

فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعت ، فما عندك ؟

قال : ليفعله هو إن كان صادقاً .

فقال له إسحاق : غنّ حتى أضربَ عليك .

فأبى .

فقال لزُرْزُور : غنّ ، فغنّى وإسحاقُ يضربُ عليه حتى فرغَ من

الصوت ما علم أحد أن العود مشوش .

ثم قال : هاتوا عوداً آخر ، فشوشه وجعل كل وترٍ منه في الشدّة

واللين على مقدار العود المشوش الأوّل حتى استوفى ؛ ثم قال لزُرْزُور :

خذ أحدهما !

فأخذه .

ثم قال : انظر الى يدي واعمل كما عمل واضرب .

ففعل ؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرب وزُرْزُور ينظر إليه ويفعل

كما يفعل ؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودين شيئاً من الفساد لصحة نغمهما

جميعاً الى أن فرغ من الصوت .

ثم قال لإبراهيم : خذ الآن أحد العودين ، فاضرب به مبدأً أو

عمودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئاً .

فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرايتَ

مثل هذا قطُّ ؟

قال : لا ، والله ما رأيتُ ولا ظننتُ أن مثله يكون

يوم لندن الطرفين

دعاني^١ إسحاق يوماً ، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبير بن دحمان
وعلوويه وحسين بن الضحَّاك ، فمرَّ لنا أحسن يوم ؛ فالتفتُ إليَّ إسحاقُ
ثم قال : يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر :

أنت والله ، من الأيام ،
لندنُ الطرفَينِ^٢

كلِّما قلبتُ عيني^٣ ،
ففي قرَّةِ عَينِ

الوائق يخلع عليه

دخلتُ^٣ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إني أصبحت اليوم
قرماً^٤ إلى غنائك فغنَّني ؛ فغنَّيته :

من الأطباءِ طباءُ همُّها السُّخبُ^٥
ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشبُ^٥

١ الحديث للفضل اليزيدي .

٢ لندن : لين .

٣ الحديث لاسحاق .

٤ القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

٥ السخب ، واحدها سخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وغيره . يقول : ان في النساء المكفى

عنهن بالطباء من لا هم لهم الا التزين وفتنة القلوب .

لا يَفْتَرِبُنْ ، وَلَا يَسْكُنْ بَادِيَةً ،
وليس يَدْرِينْ مَا ضَرَعُ وَلَا حَلَبُ^١

إِذَا يَدُّ سَرَقَتْ ، فَالْقَطْعُ يَلْزِمُهَا ،
وَالْقَطْعُ فِي سَرَقٍ بِالْعَيْنِ لَا يَجِبُ^٢

قال : فشرِب عليه بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَبَعْضَ لَيْلَتِهِ ، وَخَلَعَ عَلِيَّ خِلْعَةً
مِنْ ثِيَابِهِ .

يشتاق الى بغداد

خَرَجْتُ مَعَ الْوَائِقِ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ^٢ وَهُوَ يَرِيدُ النِّزْهَةَ ، فَذَكَرْتُ بَغْدَادَ
وَعِيَالِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي بِهَا فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ لِي : بِحَيَاتِي أَذْكَرْتُ بَغْدَادَ
فَبَكَيْتَ شَوْقًا إِلَيْهَا ؟

فقلت : نعم ، وَغَنَيْتُهُ :

وَمَا زِلْتُ أُبْكِي فِي الدِّيَارِ ، وَإِنَّمَا
بَكَئِي عَلَى الْأَحْبَابِ لَيْسَ عَلَى الدَّارِ

قال : فَأَمْرِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَصَرَفَنِي .

١ يريد انهن من النعمات لا يشتغلن ، ولا يعرفن النياق وحلمهن . يعني انهن من المخدرات .
٢ الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالسكين

طيب هواء النجف

ما وصلني^١ أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد
انحدرتُ معه الى النجف^٢ ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت في
النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدته :

يا ركب العيسِ ! لا تعجل بنا ، وقِفِ
نُحَيِّ داراً لسُعدي ، ثم ننصرف^٣

حتى أتيتُ على قولي :

لم ينزلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ
أصفى هواءً ، ولا أعذى من النجفِ^٤

حَفَّتْ بِبَرٍّ ومجرٍ من جوانبها ؛
فالبرُّ في طَرَفِ والبحرِ في طرفِ

وهي يزالُ نسيمٌ من يمانية
يأتيك منها برِّياً روضةً أنفِ^٥

١ الحديث لاسحاق .

٢ النجف : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها

٣ العيس : النياق .

٤ أعذى : أحطب هواء .

٥ الروضة الأتف : التي لم يرعها أحد .

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك .

ثم أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه :

لا يحسبُ الجودَ يُفني مالهَ أبداً ،
ولا يرى بذلَ ما يحوي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتى أتممتها ؛ فطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ؛
وكتّاني يومئذ ، وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر الى الصالحية التي يقول
فيها أبو نُوَاس :

بالصالحية من أكنافِ كلِّ وادٍ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت :

أتبكي على بغدادَ ، وهي قريبةٌ ،
فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعداً

لعمرك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلي ،
لو أننا وجدنا عن فراقٍ لها بُداً

إذ ذكرتُ بغدادَ نفسي تقطعتُ
من الشوق ، أو كادت تموت بها وجداً

كفى حزنًا أن رُحمتُ لم أستطع لها
وداعاً ، ولم أحدثُ بساكنها عهداً

١ كلواذ : مدينة كانت قرب بغداد في ناحية الجانب الشرقي منها

قال : فقال لي : يا موصلي ، أشتقتَ الى بغداد ؟
فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان ، وقد
حضرني بيتان

فقال : هاتهما

فأنشدته :

حَنَنْتَ الى الأَصَيْبِيَّةِ الصَّغَارِ ،
وشاقك منهمُ قُربُ المَزَارِ
وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً ،
إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ الى بغداد فأقيمُ مع عيالِكَ شهراً ثم
صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم :

لحنه ولحن الواصل

أخبرنا يحيى بن عليّ قال :

لما صنع الواصل لحنه في :

أيا مُنْشِرَ المَوْتِ ! أقدني من التي
بها نَهَيْتَ نفسي سَقاماً ، وَعَلَّتْ

١ اقدني منها : اقتلها بي قصاصاً . نهت : شربت الشرب الأول . علت : شربت الشرب الثاني

لقد بَجَلتُ ، حتى لوَ اني سألتُها
قذى العين ، من سافى التراب ، لَضَتَّ ا

أعجيب به ، إعجاباً شديداً ، فوجهه بالشعر الى إسحاق الموصلي وأمره أن
يعنني فيه ؛ فصنع فيه لحنه الثقيل الأوّل ، وهو من أحسن صنعة
إسحاق ؛ فلمّا سمعه الواصل عَجِبَ منه وصغُرَ لحنه في عينه ، وقال :
ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنه قد أفسد
علينا لحننا .

قال علي بن يحيى : قال إسحاق : ما كان يحضر مجلس الواصل علمُ
منه بهذا الشأن .

نسبة هذين الصوتين

أيا مُنْشِرَ الموتى ! أقدني من التي
بها نَهَلتُ نفسي سَقاماً ، وَعَلَّتِ
لقد بَجَلتُ ، حتى لوَ اني سألتُها
قَذَى العَيْنِ ، من سافى التراب ، لَضَتَّ

الشعر لأعرابيّ

أنشدني هذه الأبيات عمّي عن إسحاق أنه أنشد لأعرابيّ فقال :

١ القذى : ما يدخل في العين فيؤذيها . سافى التراب : ما ذرته الريح .

ألا قاتلَ اللهُ الحِمامَةَ ، عُذْوَةٌ ،
على العَصَنِ ، ماذا هَيَّبَتْ حينَ غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بِصوتِ أعجميٍّ ، فَهَيَّبَتْ ،
من الشوقِ ، ما كانت ضلوعي أَجَنَّتِ ١
فلو قَطَرَتْ عَيْنُ امرئٍ ، من صِبابَةٍ ،
دمًا قَطَرَتْ عَيْنِي دَمًا ، فَأَلَمَّتِ ٢
فما سَكَمْتُ ، حتى أَوَيْتُ لَصوتِها ،
وقلتُ تَرى هذي الحِمامَةَ جُنَّتِ ٣
ولي زَفَرَاتٌ ، لو يَدُمَنَّ قَتَلَنَنِي
بشوقِ إلى نايِ التي قد تَوَلَّتْ ٤
إذا قلتُ هذي زَفَرَةٌ اليومِ قد مَضَتْ ،
فمَنْ لي بِأخرى في غدٍ قد أَظَلَّتْ ٥
فيا مُحِيسِي الموتِ أَقِيدَنِي من التي
بها نَهَيْتُ نَفْسِي سَقامًا ، وَعَلَّتْ

١ أَجَنَّتْ : سَتَرَتْ .

٢ يريد بقوله المت : ان عينه ذهب بصرها لبكائها الدم

٣ أوبت لَصوتِها : رَقَقَتْ لَهُ وَرَحِمَتْهُ .

٤ تَوَلَّتْ : أَعْرَضَتْ .

٥ أَظَلَّتْ : يُقَالُ أَظْلَهُ الشَّيْءُ : غَشِيَهُ ، وَأَلْفَى عَلَيْهِ ظِلًّا

لقد بَخِلْتُ ، حتى لو أني سألتها
قَدَمِي العَيْنِ ، من سافى التراب ، اخذتِ

فقلتُ ارعلا يا صاحبي ! فليتبني
أرى كل نفسٍ أُعْطِيَتْ ما تَمَّتِ

حلفتُ لها بالله ما أمُّ واحدٍ ،
إذا ذكرته آخِرَ الليلِ حنَّتِ

وما وَجَدُ أعرابيةً ، قدفتُ بها
صُرُوفُ النُوى ، من حيثُ لم تكُ ظنَّتِ

إذا ذكرتُ ماءَ العِضاهِ وطيبه ،
وبَرْدَ الحِمَى ، من بطنِ حَبَّتِ ، أرنتِ ١

بأكثرَ مَشي لوعةً ، غيرَ أني
أجمجمُ أحشائي على ما أجمجتِ ٢

وأما لحن إسحاق فإنه غنى في :

لقد بَخِلْتُ حتى لو أني سألتها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو :

١ العِضاه : ضرب من الشجر له شوك . الحَبَّتِ : الوادي العميق وما اطمان من الارض واتسع .

أرنت المرأة في نوحها : صاحت مع البكاء .

٢ أجمجم : أطوي أحشائي وأخفي بها ما سترته من اللوعة

فإن بخلت ، فالبخل منها سجيّة ،
وإن بذلت أعطت قليلاً وأكثرت ١

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى الوسطى

مخارق يكيدته

كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لاسحاق : هذا وقع الينا البارحة فاسمعه ، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء . فكاده مخارق عنده وقال له : إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليُقارِبَكَ ويستخرج ما عندك ، فاذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع .

قال الواثق : فأنا أحب أن أقف على ذلك .

فقال له مخارق : فأنا أغنّيه « أيا منشراً الموتى » فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد .

قال : فافعل .

فلما دخل إسحاق غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجهدته ، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعلمها الواثق من قسمته ، فلما غنّاه قال له الواثق : كيف ترى هذا الصوت ؟

قال له : فاسدٌ غير مرّضيّ .

١ أكثرت : قلت عطاءها ومنعته .

فأمر به فسُجِبَ من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه الى بغداد .
ثم جرى ذكره يوماً . فقالت له فريدة : يا أمير المؤمنين ، إنما كاده
مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَفَمًا
وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه ،
 ويفهم من غامض عِللِ الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِرْهُ أمير
المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدّقه عما يسمع ، وأغنيّه إياه
حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسدًا فصدّق عنه لم يكن عليه
عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسدًا إذا
كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحًا قال فيه ما عنده .

فأمر بالكتاب بحمله فحُمِلَ وأُحْضِرَ ، فأظهر الرضا عنه ولزمه أياماً ؛
ثم أحلفه ليصدّقنّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غنّى الواثق أصراتاً
يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّته فريدة هذا الصوتَ
وسأله الواثق عنه ، فرضيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعته في
المرّة الأولى . وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبرَ بإفسادِ مخارق إياها ؛
فسكن غضبه ووصل إسحاقَ وتكرّر لمُخارِقِ مدّة

بينه وبين الواثق

حدثني إسحاق الموصلي^١

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وقد كان تكلم له في

١ الحديث ل محمد بن مالك .

حاجةٍ فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطُ به أُمْنِيَّةٌ
ولم تبالِغهُ رَغْبَةٌ .

قال : فاشتبهى هذا الكلامَ واستعاده منِّي فأعدتُه . ثم مكثنا ما
شاء الله ، وأرسل الواصل إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في
الصوت الذي أمرني به بأن أغنِّي فيه ، وهو :

لقد بَخِيتُ حَقَّ لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا

فغَنِّيته إِيَّاهُ ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَخَرَجْتُ وَأَقَمْتُ مَا شَاءَ
اللَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ مَغَنِّيهِمْ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْغِنَاءَ مِنِّي .

فَلَمَّا طَالَ مُقَامِي قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمَغَنِّيِّينَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الصَّوْتَ مِنِّي .

فَقَالَ لِي : وَلِمَ ؟ وَيَحْكُ !

فَقُلْتُ : لِأَنِّي لَا أَصَحِّحُهُ وَلَا تَسْخُو نَفْسِي بِهِ لَهُمْ ؛ فَمَا فَعَلْتَ الْجَارِيَةَ
الَّتِي أَخَذْتَهَا مِنِّي ؟

يَعْنِي شِجَا ، وَهِيَ الَّتِي كَانَ أَهْدَاهَا إِلَى الْوَالِثِ وَعَمِلَ بِجَرْدِ أَغَانِيهَا
وَجَنَسَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى شِعْرَائِهِ وَمَغَنِّيهِ ، وَهُوَ الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ

يَوْمَ .

فَقَالَ : وَكَيْفَ ؟

قَالَ : لِأَنَّهَا تَأْخُذُهُ مِنِّي وَيَأْخُذُونَهُ هُمْ مِنْهَا .

فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم
وأذن لي في الانصراف .

وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً ؛ فقلت للوائق عند
وداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحيط به أمسية ولم
تبلغه رغبة .

فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ايّ إسحاق أتعيد الدعاء !
فقلت : إي والله أعيده قاضٍ أنا أو مغنٍ
وقدمت بغداد ، فلما وافى إسحاق جئته مُستلماً عليه ؛ فقال لي :
ويحك يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجه من عنده ؟
قلت : لا أيها الأمير .

قال : قال لي : ويحك ! كنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على
لحننا حتى أفسده علينا .

قال عليّ بن يحيى : فحدثني إسحاق قال : استأذنت الوائق عدّة
دفعات في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي ، فصنعت لحناً في :

خليليّ عوجاً من صدور الرّواحل

ثم غنّيته الوائق فاستحسنه وعجب من صحّة قيسمه ومكث
صوته أياماً ، ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعت لحناً في صوتك في
إيقاعه وطريقته .

وأمر من وراء الستارة فغنّوه .

فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغضت إليّ لحنِي وسميحتَه عندي .
وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي ؛ فلمّا
صنع هذا اللحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعته بأن قلتُ له : قد والله
يا أمير المؤمنين اقتصصتَ مني في : لقد بخلتُ ، وزدتُ .
فأذن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت

خليليّ عوجبًا ، من صدور الرواحلِ ،
بجرعاءٍ حزوي ، فابكيا في المنازلِ^١
لعلّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً
من الوجدِ ، أو يشفي نَجِيّ البلابلِ^٢

الشعر لذي الرّمّة .

ابن عياش وذو الرمة

أخبرني أحمد بن عمّار عن أبي بكر بن عيّاش قال :
كنتُ إذا أصابتنِي المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكتُ عن البكاء ، فأجد

١ عوجا : اعطفا . الرواحل ، واحدها راحلة : النجيب الصالح من الابل . الجرعاء : الرملة
السهلة المستوية . حزوي : موضع بنجد في ديار تميم .
٢ البلابل : الهموم في الصدور .

ذلك يشتد عليّ ، حتى مررتُ ذات يوم بالكُناسة^١ فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشد :

خليبي عوجًا ، من صدور الرواحل ،
بجرّ عاءٍ حزوي ، فابكيا في المنازل

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِبُ راحةً
من الوجد ، أو يَشفي نَجِيّ البلابل

فسألتُ عنه فقل لي : هذا ذو الرُّمّة ، فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيّتُ فأجد لذلك راحة .

فقلت : قاتل الله الأعرابي ! ما كان أعلمه وأفصح لهجته !

أيهما أجود؟

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال :

قلت لاسحاق : أيهما أجود ، لحنك في : خليبي عوجًا ، أم

لحن الواثق ؟

فقال : لحن أجود قِسْمَةً وأكثر عملاً ، ولحنه أطرب ، لأنه

جعل رَدَّتَه من نفس قِسْمته ، وليس يقدر على أدائه إلا متمكن

من نفسه .

١ الكُناسة : محلة بالكوفة .

قال علي بن يحيى : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق .

قال : وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء .

ابن المعتز يفضل الواثق

خبرني علي بن هارون قال :

كان عبد الله بن المعتز يحاف أن الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في : لقد بخلت .

قال : ومن الدلائل على ذلك أنه قلما غنّي في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدثون ، ولا يُشهر من اللحنين إلا أجودهما ، ولحن الواثق أشهرهما ، وما يروي لحن إسحاق إلا العجائز ومن كثر روايته .

يعرض صنعته على اسحاق

كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصاح فيها الشيء بعد الشيء .

آخر صوت صنعته

أخبرنا حسين بن يحيى عن حماد

أنّ آخر صوت صنعه أبوه : لقد بَجِلَتْ ، ثم ما صنع شيئاً
حتى مات .

شعر أبي القنافة

دخل أعرابي من بني سليم سرّاً من رأى وكان يُكنى أبا
القنافة ، فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له ، فلما تمثّل بين
يديه أنشده :

مِراضُ العيونِ ، خِصاصُ البطونِ ،
طِوالُ المتونِ ، قصارُ الحُطّانِ

عِناقُ النّجورِ ، رِقاقُ الثغورِ ،
لِطافِ الحُصورِ ، خِدالِ الشّوى^١

عَطابيلُ ، من كلِّ رِقراقِةٍ
تَلوثُ الأزارَ بدِعْصِ النّقا^٢

١ الحديث لاسحاق .

٢ عناق النجور : جميلاتها . خدال ، واحدتها خدلة : الغليظة الساق المستديرتها .
الشوى : الاطراف .

٣ عطابيل ، واحدتها عطبولة وعطبول : الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . الرقراقية :
التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث الازار : تعصبه . الدعص : كتيب الرمل المجتمع .

إِذَا هُنَّ مَنَيْنَا فَائْتَلَا ،
أَبِي الْبُخْلُ مِنْهُنَّ ذَاكَ الْمُنَى

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ أَهْلِ الْبَيْطَاحِ ،
وَأَهْلِ السَّمَاحِ ، طَلَبْنَا الشَّدَى

لَهُمْ سَطَوَاتُ إِذَا هُيَّجُوا ،
وَحَلْمٌ إِذَا الْجَهْلُ حَلَّ الْحَبَا

يَبِينُ لَكَ الْخَيْرُ فِي أَوْجِهِ
لَهُمْ كَالْمَصَابِيحِ تَجَلُّو الدُّجَى

سَمَى النَّاسُ كِي يُدْرِكُوا فَضْلَهُمْ ،
فَقَصَّرَ عَنْ سَمِيهِمْ مَنْ سَمَى

سَعَى لِلْخِلَافَةِ فَاقْتَادَاهَا ،
وَبَرَّزَ فِي السَّبْقِ لَمَّا جَرَى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها ، وأمر الأعرابي
بعشرين ألفَ درهمٍ ولي بثلاثين ألفَ درهمٍ ، وما خرج الناس يومئذ
إلا بهذه الأبيات .

١ الحبا ، واحدها حبوة : الثوب الذي يحتوي به . والاحتباء : ضم الانسان رجله الى بطنه
ثوب يجمعهما . وحل الحبا : كناية عن القيام .

يطلب نبيذاً

حدّثني عمّي عن إسحاق قال

كتبت الى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إليّ جماناً^١ بما
التمست، وكتب إليّ: قد بعثت إليك بشرابٍ أصلب من الصّخر،
وأعتق من الدهر، وأصفي من القَطْر.

لميس تسرق لحنه

لما صنع إسحاق لحنه :

أماويّ! إنّ المال غاد ورائح،
ويبقى من المال الأحاديث والدّكر^٢

وقد علم الأقبام لو أنّ حاتمًا
يريد ثراءَ المال كان له وفّر^٣

وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدة وذلك

في أيام المأمون، فقال عبد الله للميس جاريتيه: تُخذي لحنَ إسحاق في

أماويّ! إنّ المال غادٍ ورائح^٤

١ جمان : لعله وكيل ابن هشام .

٢ الشعر لحاتم الطائي ، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها الى اهلها

فأخلميه علي :

وهبتُ شمالاً ، آخِرَ الليل ، قَرَّةً ،
ولا ثوباً إلا بُردُها وردائياً

وألقى علي كلَّ جارية تعلّمينها وأشهره وألقى علي من يجيده
من جوارِي زبيدة ، وقولي : أخذته من بعض عجائز المدينة .
ففعلت ، وشاع أمره حتى غنّني به بين يدي المأمون ؛ فقال المأمون
للجارية : ممن أخذتِ هذا ؟

فقلت : من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريته ، وأخبرتني
أنها أخذته من بعض عجائز المدينة .
فقال المأمون لاسحاق : ويلك ! قد صرتَ تسرق الغناء وتدّعيه !
اسمع هذا الصوت .

فسمعه فقال : هذا وحياتك لحني ، وقد وقع علي فيه نقب من
لصٍّ حاذق ، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه .
ثم بكّرَ الي عبد الله بن طاهر فقال : أهذا حقّي وحرمتي وخدمتي !
تأخذ لميسُ لحني في :

أماويّ ! إنّ المال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في : وهبتُ شمالاً ! وليس بي ذلك ، ولكن بي أنها

١ قرّة : باردة .

فضحتني عند الخليفة وادّعت أنها أخذته من بعض عجائز المدينة .
فضحك عبد الله وقال : لو كنت تكثير عندنا كما كنت تفعل لم
تُقدِّم عليك لميسُ ولا غيرها . فاعتذر فقبل عذره ، وقال له : أيَّ
شيء تريد ؟

قال : أريد أن تُكذِّب نفسك عند من ألقته عليها حتى يعلم
الخليفة بذلك .

قال : أفعل .

ومضى إسحاقُ الى المأمون وأخبره القصة ؛ فاستكشفها من لميسَ
حتى وقف عليها ، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدة .

جائزة الأمين

حدّثني شهواتُ الصنّاجة التي كان إسحاقُ أهداها الى الوراق :
أن محمداً الأمين لما غناه إسحاقُ لحنه الذي صنعه في شعره :

يأتيها القائمُ الأمينُ ، فدّتْ

نفسك نفسي بالمالِ والولَدِ

بسّطتَ للناسِ ، إذ وليتهمُ ،

يداً من الجودِ فوق كلِّ يدِ

١ الحديث لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

فأمر له بألف ألفِ درهمٍ ؛ فرأيتها قد وصلتُ الى داره يحملها
مائةُ فرّاشٍ .

الواثق يعجب بجوابه

غثت^١ الواثق :

عفا طرّفُ القريةِ ، فالكثيبُ
الى ملحاءٍ ليس بها عريب^٢

تأبّد رسمها ، وجرى عليها
سوافي الريح والتّربُ الغريب^٣

قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هرمة في البيتين ،
فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟

قال قلت : قوله : التّربُ الغريب ، يريد أنّ الريح جاءت الى
الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد .
فقال : صدقتَ وأحسنْتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

١ الخديث لاسحاق

٢ ملحاء : من أودية اليامة . عريب : أحد .

٣ تأبّد : أقفر . سوافي الريح : التّراب الذي تذرّبه الريح .

بيت يزداد علي لحنه

كنا يوماً عند أحمد بن المدبّر ، فغناهُ مغمّنٍ كان عنده
لحنَ إسحاق :

فأصبحتُ كالجَومانِ ينظُرُ حَسرةً
إلى الماءِ ، عطشاناً ، وقد مُنِعَ الوِرْدُ^٢

وقال ابن المدبّر : زد فيه :

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجّةً نفسه ،
يرى الموتَ في صدّ الحبيب ، إذا صدّا

ينشد مروان شعره

حدّثني الأَخفش قال : حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال : حدّثني
شيخ من ولَدِ المهلب قال :

دخل مروانُ بن أبي حفصَةَ يوماً على إبراهيم الموصليّ ، فجعلا
يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حفصَةَ لنفسه :

إذا مُضِرُّ الحَمراءِ كانت أرومتي ،
وقام بِنَصري خازمٌ وابنُ خازِمِ

١ الحديث لمحمد بن الحرون .

٢ الجومان : العطشان . الورد : الشرب .

عَطَسَتْ بِأَنْفٍ شَامِخٍ ، وَتَنَاوَلَتْ
يَدَايَ الثَّرِيَّا ، قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ .

قال : وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساه مشغول ، فقال له :
ما لك لا تحبيني ؟

قال : إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في اذني .

يسكر على شعر

حدّثني أحمد بن جعفر عن يعقوب بن بشر قال :
كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نزهة ، فمرّ بنا أعرابيٌّ ، فوجّه
إسحاقُ خلفه بعلامه زيادٍ الذي يقول فيه :

وقولاً لساقينا زيادٍ يُوقّها ،
فقد هدّ بعضَ القومِ سقّي زيادٍ

قال : فوافانا الأعرابيُّ ، فلمّا شرب وسميع حنين الدواليب قال :

بَكَرَتْ تَحِينُ ، وَمَا بِهَا وَجْدِي ،
وَأَحِينُ مِنْ وَجْدٍ إِلَى نَجْدٍ

فدموعها تحنيا الرياض بها ،
ودموع عيني أقرحت خدي

وبساكني نجد كلفت ، وما
يُغني لهم كلفِي ، ولا وَجْدِي

لو قيسَ وجدُ العاشقين الى
وَجْدِي ، ل زاد عليه ما عندي

قال : فما انصرف إسحاق الى بيته إلاّ محمولاً سُكراً ، وما شرب
إلاّ على هذه الأبيات .

حكاية بساط الفضل

دخلت^١ على الفضل بن الربيع ، وهو على بساط سُوسَنَجِرْدِي^٢
ستيني ، مُذهب ، يلمع ، عليه مكتوب : « بما أمرَ بصنعتِه حَمَّادُ
عَجْرَد » ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمَّادُ عَجْرَد ؟
قلت : لا .

قال : حَمَّادُ عَجْرَدُ كانَ واليَ تلكَ الناحية ؛ أفرايتَ مثله قط ؟
قلتُ : لا .

فسكتَ ؛ ثم قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟
قال : أيّ شيء يفعلونه ؟

١ الحديث لاسحاق .

٢ سوسنجردي : نسبة الى سوسنجردي من قري بغداد .

قالت : تَهَبُّهُ لِي

قال : لا أفعل

قلت : إِذَا أَغْضَبَ

قال : ما سئلتَ افعل

فخرجتُ مُتَغَاضِبًا ، فلما وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لحقني
بالبساط ، فكتبتُ إليه بيتين لحمة بن مضر :

ولقد عددتُ ، فليستُ أُحصِي كلَّ ما

قد نلتُ منك ، من المتاع المونقِ

بجديعتي ، فأراك مُنخدعاً لها ،

وفكاهتي وتغضبي وتملُّقي

فلما دخلتُ عليه ضحك وقال لي : البيتان خير من البساط ،

فالفضلُ الآن لك علينا

مناظرته لآبيه

أخبرني يحيى بن عليّ عن عمرو بن بانة قال :

رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلما بما فهماه

ولم أفهم منه شيئاً ، فقلتُ لهما : لأن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن

منه في قليل ولا كثير

شعره في الواثق

قدمت^١ على الواثق في بعض قَدَمَاتِي، فقال لي: أما اشتقت إلي؟
فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين؛ وأنشدته:

أشكو إلى الله بُعْدِي عن خليفته،
وما أعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرٍ
لا أستطيع رحيلًا، إن هَمَّتُ به
يومًا إليه، ولا أقوى على السَّفَرِ
أنزوي الرَّحِيلَ إليه، ثم يمنعني
ما أحدث الدهرُ والأيامُ في بَصَرِي

داليتة في الواثق

قال: وقد أشخصه إليه قصيدته الداليتة

ضننتُ سعادُ، غداة البين، بالزادِ،
وأخلفتك فما تُوفي بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها، إذ تُودِّعُنَا،
والحزنُ منها، وإن لم تُبدِهْ، بادي

١ الحديث لاسحاق .

لَمَّا أَمَرْتَ بِإِسْتِغَاثِي إِلَيْكَ ، تَهْفَا
قَلْبِي ، حَنِينًا إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
ثُمَّ اعْتَزَمْتُ ، وَلَمْ أَحْفَلِ بِبَيْنِهِمْ ،
وَطَابَتِ النَّفْسُ عَنْ فَضْلِ وَحَمَادِ
كَمْ نِعْمَةٌ لِأَبِيكَ الْخَيْرِ أَفْرَدَنِي
بِهَا ، وَعَمَّ بِأُخْرَى بَعْدَ إِفْرَادِ
فَلَوْ شَكَرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعُمَكُمْ
لَمَّا أَحَاطَ بِهَا وَصَفِي وَتَعَدَّادِي
لَأَشْكُرَنَّكَ مَا فَاحَ الْحَمَامُ ، وَمَا
حَدَا ، عَلَى الصَّبْحِ فِي إِثْرِ الدُّجَى ، حَادِي

قال علي بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال
الخليفة لإسحاق : أحضرنى فضلاً وحماداً ، أليس كان قد افتضح من
دمامة خلقهما وتخلّف شأدهما

الناس حمير

كتب أبو إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التّجزئة والقسمة
« إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير ! »

١ الحديث لهبة الله بن إبراهيم بن المهدي .

يرقص ويفني الرشيد

كنت^١ مع الرشيد حين خرج الى الرقّة ، فدخل يوماً الى النساء ،
وخرجت فمضيت الى تلّ عزاز^٢ ، فنزلت عند خمّارة هناك . فسقّني
شرباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش
وريجان غصّ ، وبرزت بنت لها كأنها خوط^٣ بانٍ أو جدل^٤ ،
عنان ، لم أر أحسن منها قدّاً ، ولا أسيل خدّاً ، ولا اعتق
وجهاً ، ولا أبرع ظرفاً ، ولا أفن ظرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا
أتمّ تماماً ؛ فأقمت عندهما ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ ؛ ثم
انصرفت فذهبت بي رُسله ، فدخلت عليه وهو غضبان ؛ فلما رأته
خطرت في مشيتي ورقصت ، وكانت فيّ فضلة من السكر ،
وغنّيت :

إنّ قلبي بالتلّ ، تلّ عزاز ،
عند ظبي من الظباء الجوازي^٥

شادن يسكن الشام ، وفيه ،
مع دلّ العراق ، ظرف الحجاز

١ الحديث لاسحاق .

٢ تلّ عزاز : في الرقة .

٣ الخوط : الغصن الناعم .

٤ الجدل : الحبل المقتول .

٥ الجوازي ، واحدها جازئة ؛ وهي من الظباء التي استغنت بالعشب والشجر عن الماء .

يا لِقَوْمِي لَبِيتُ قَسِيًّا أَصَابَتْ
مِنْكَ صَفْوَةَ الْهَوَى ، وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلْفَتَهُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ ،
وَلَيْسَتْ تَجُودُ بِالْأَنْجَازِ

قال إسحاق : فسكن غضبه ، ثم قال لي : أين كنت ؟
فأخبرته .

فضحك وقال : إن مثل هذا إذا اتفق لطيب ، أعيد غناءك .
فأعدته ، فأعجب به ، وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها ،
وأخذه المغنّون مني جميعاً وشربنا إلى طلوع الفجر .

ثم انصرفنا فصليت الصبح ونمت ، فما استقرنا حتى أتى إلي
رسول الرشيد فأمرني بالحضور ، فركبت ومضيت ، فلما دخلت
وجدت ابن جامع قد طرح نفسه يتمرغ على دكان^١ في الدار لعلبة
الشكر عليه ، ثم قال : أتدري لِمَ دُعينا ؟
فقلت : لا والله .

قال : لكنني أدري ، دُعينا بسبب نصرانيتك ، عليك وعليها
لعنة الله .

فضحكت . فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة ، فضحك وقال :
صدق ، عودوا فيه فإني اشتقت إلى ما كنا فيه لما فارقتموني ، فعدنا
فيه يوماً كله حتى انصرفنا .

١ الدكان هنا : المصطبة .

يرجع عن توبته

كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زيّته واحتجراً^١ من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك وتكثّر ، فكتب إسحاق إليه وعشى فيه بعد ذلك :

يا بن عمّ النبيّ ! سمعاً وطاعة ،
قد خلعنا الرّداء والدُّرّاعة^٢

ورجعنا الى الصّناعة ، لما
كان سُخطَ الإِمام ترك الصّناعة

وقد ذكر الفلابي أنّ هذا الشعر لأبي العتاهية ، قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لابراهيم .

تعصبه للقدماء

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدّثني أبي قال :

قال لي محمد بن الحسن بن مُصعب ، وكان بصيراً بالغناء والنغم :
لحنُ إسحاق في « تشكّي الكُميت الجري » أحسن من لحن ابن

١ احتجر : امتنع .

٢ الدراعة : جبة مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف .

سريع ، ولحنه في «يوم تبدي لنا قتيلاً» أحسن من لحن مَعْبِد ،
وذلك من أجود صنعة مَعْبِد .

قال : فأخبرتُ إسحاقَ بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامي
راحتيهما وزعزعتُهما وأنفختُ بهما فما بلغتُهما .

فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن ، فقال : هو والله يسلم أنه يروى
عليهما ، ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء .

وأخبرني جِحْظَةُ قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق :

أنَّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنَّ الناس قد كثروا في صوتيك :
«تشكّي الكُتَيْبِ الجُري» و «يوم تبدي لنا قتيلاً» ، وقالوا :
إنهما أجود من لحني ابن سريع ومَعْبِد .

قال أبي : ويحك ! رُميت في هذين الصوتين بمَعْبِد وابن سريع
وهما هُما ، فقرُبت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد
والله أخذتُ بزمامي راحتيهما وانتصفتُ منهما .

صنعتُه وغناؤُه

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن ذكر إسحاق
الموصلي فقال :

١ زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً

كانت صنعته تحكّمة الأصول ، ونغمته عجيبة الترتيب ، وقسمته
معدّلة الأوزان ، وكان يتصرّف في جميع بسط الإيقاعات ، فأبى
بساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك
البساط طذاق القدماء فعارضه . وقد كان يذهب مذهب الأوائل ،
ويسلك سبيلهم ، ويقتحم طرقهم ؛ فلبّني على الرسم فيصنعه ،
ويحتذي على المثال فيحكّيه ، فتأتي صنعه قوية وثيقة يجمع فيها
حالتين : القوة في الطبع وسهولة المسلك ، وخنثاً بين كثرة النغم
وترتيبها في الصياح والإسجاج ؛ فهي بصنعة الأوائل أشبه منها
بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن
يرودوها فيردّوها .

وكان حسن الطبع في صياحه ، حسن التلطف ، لتزيله^٢ من
الصياح الى الإسجاج على ترتيب بنغم يشاكله ، حتى تعتدل وتنزّن
أعجاز الشعر في القسمة بصدوره .

وكذلك أصواته كثها ، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ،
وذلك مذهب في 'جل' غنائه ؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقبونه
المسوع ؛ لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتح بها أحدها ، ثم يردّ
نغمته فيرجّحها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتى يحطّها من تلك الشدة الى

١ الإسجاج : الجمع ، ترديد النغمات .

٢ لتزيله : هكذا في الاصل ولعل الصواب لتزله ، اي لنزوله متمهلاً .

ما يوازيها من اللين ، ثم يعود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدة الى لين ومن لين الى شدة ؛ وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يُعرف من الصنعة .

قال يحيى بن علي بن يحيى ، وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره : « وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأنفذهم في جميع فنونه ، وأضر بهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعةً ، وقد تشبهه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبدًا فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ، ولم يكن بعد إسحاق مثله . »

يشبهه صوتاً له

قال إسحاق وذكر صوته :

كان افتتاح بلائي النظر ،
فالحين سبب ذلك والقدر

قد كان باب الصبر مفتوحاً ،
فاليوم أغلق بابهُ النظر

قال إسحاق : ما شئت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطبطابة^١ وأهل الميدان جميعاً خلفه ، فلما بلغ أقصى ضربها أحجزها^٢

١ الطبطابة : خشبة عريضة ياعب بها بالكرة .

٢ أحجزها : جماعها محجوزة عنهم .

هو وابن معاذ والأمين

أخبرني الحسن بن عليّ عن إسحاق قال :

صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ ؛ فلما كان في أيام محمد غنّيته فاشتهاه واشتهر به ، وبعث الى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه

اسقني وابن نهيك ،
وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنّيت :

فاسقني واسق نهيكاً ،
واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأعاقبنك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه^١ وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت الى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه فلم يزل يستحلفني ألاّ أعود في هذا الصوت قدّام محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعد فيه .

١ غلّفه : طيبه بالطيب .

نسبة هذا الصوت

يومئنا يوم رذاذ،
واصطباح والتذاذ^١

فاسقني وابن نهيبك،
وابن يحيى بن معاذ

من كميت عتقت للشيخ
كسرى بن قباد^٢

ليس للمرء، من الهم،
سواها من مالاذ

الشعر لعلي بن هشام .

كنت^٣ عند علي بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشتاً وطشت^٤؛
فأنشأ علي يقول :

يومئنا يوم رذاذ،
واصطباح والتذاذ

١ الرذاذ : المطر الخفيف .

٢ الكميت : الخمر التي فيها سواد وحمرة .

٣ الحديث لأبي عبد الله الهلالي .

٤ طشت : امطرت مطراً ضعيفاً

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لعلامة : اذهب الى أحمد بن يحيى
ابن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيب ، فتعال أنت
وغلامك بنان وعثعث .

فجاء الى باب الرسول وعليه عُرْماء له ، فمنعوه الدخول عليه ؛
فقال لهم : كم لكم عليه ؟

قالوا : مائتا ألف درهم .

فرجع الغلام الى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه
من الدين .

فقال له : احمل إليه مائتي ألف درهم وحيء به وبغلاميه الساعة .
فحملها ؛ فجاء أحمد بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعلي بن هشام :
لِمَ تَحَمَلْتُ هَذَا لِي ! أَنَا وَاللَّهِ مُنْتَظَرٌ مَالًا يَجِيءُ فَأَعْطِيهِمْ .
فقال له : مالي ومالك واحد .

فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أَكْثَرُ مِنَ الْحَلَوَاءِ
فَلَسْتَ تَدْخُلُ مَعْنَا فِي دِيْوَانِنَا ، يَعْنِي الشُّرْبَ

فَأَكَلْتُ وَغَسَلْتُ يَدَيَّ ؛ فَقَالَ لَعَلَّامِدِ سِرَاجٍ : اِحْمِلْ مَعِ أَبِي
عَبْدَ اللَّهِ الْهَلَالِيَّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .
فَانصَرَفْتُ وَهِيَ مَعِي .

١ يريد لماذا حملت هذا المال ودفعته عني .

ذكري الصبا

تفتتت^١ جاريةً فقلت فيها :

هل الى أن تنام عيني سبيلُ ؟
إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ !

غاب عني مَنْ لا أسْمِي ، فعيّني ،
كلُّ يوم ، عليه حزنًا تسيلُ

قال إسحاق : ثم ملكتها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كبرتُ
واعتلتُ عليَّ عيناها ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامه المتقدمة ، فما
زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولى .

حكيم على الحن له

دعا المأمونُ بإسحاق فأحضره ، فأمره أن يُغنّي في هذا الصوت :

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ

فغنّاه ؛ و كنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما
عدا بلحنه معنى شعره .

١ الحديث لإسحاق .

فقال المأمون : فَإِنَّا نَرُدُّ الْحُكْمَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ .
فبعث إلى أبي ، يعني يحيى المكي ، فجيء به ، فخبّره بما قلت وما
قال ، وأمر إسحاق بردّ الصوت فردّه ؛ فقال يحيى : أحسن إسحاق
في غناؤه وأحسن ابني في استحسانه ، إلا أن هذا اللحن يحتاج
أن يُسمع من غير حلق إسحاق .

فضحك المأمون ، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله
قال : ولم يكن في إسحاق شيء يُعاب إلا حلقه ، وكان يغلب
الناس جميعاً بطبعه وحذقه .

سبب ضعف بصره

وأما السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره فإن إبراهيم ابن
أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من
الغذاء ، فردّ عليه ، فشتّمه ، فردّ عليه إسحاق وأرّبى في الردّ ؛ فقال له
إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين !

فقال له : اسكُتْ فإنك من موالى العبيدِ

فقال له الرشيد : وأي شيء موالى العبيدِ ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، يُشترى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في

العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحجاج والحائك والسائس ؛ فهو أحد
هؤلاء الذين ذكرت .

قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فأمّا جاز عليه 'منصرفاً
ضرب رأسه بمقرعةٍ فيها معولٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف
بصر إسحاق .

وبلغ الرشيد الخبر ، فأمر بأن 'يحبّبَ عنه إبراهيم' ، وحلف ألا
يدخلَ عليه ؛ فدسّ الى الرشيد من غناه :

مَنْ لِعَبْدِ أَذْلِهِ مَوْلَاهُ ،
مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ

يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ ، وَيَخْشَاهُ
وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

الشعر لأبي العتاهية والفناء لابراهيم ابن أخي سلمة الوصيف .

فلما 'غنى الرشيد' بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِفَ ،
فحلف ، ألا 'يرضى عنه حتى يرضى إسحاق' ؛ فقام إسحاق فقال : قد
رَضِيتُ عنه يا سيدي رضاءً حسناً ؛ وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً
لما كان من قوله .

فرضي عنه وأحضِرْ وأمره بترضي إسحاق ففعل .

اسحاق وابن اخي سلمة

جاء إبراهيم ابن أخي سلمة الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ،

إني أحب أن تشرّفتني بأن تكون نوبتي ونوبة إسحاق الموصلني في مكان ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلت .

قال : قد فعلتُ .

ولم أكن حاضراً لمسألته . فلمّا كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عنيفاً وعرفّني الغلامُ خبره ؛ فقلتُ له : يدخل فأبي وقال له : قل له اخرج أنت .

فساء ظني واغتممتُ ، فخرجتُ إليه فقلتُ له : ما الخبر ؟

قال : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلاّ معي بعد أن أوجّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي .

فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، و كنت بقيّة يومي على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضل بن الرّبيع فشكوتُ ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أمير المؤمنين يُحلبك هذا المحلّ ، قم بنا إليه .

فقممت معه ، فدخل إلى الرّشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمته وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقداره أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سلّمة !

قال : لا والله ما فعلتُ هذا .

قال : إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يعدّ إليه

فقال : ويحك ! والله ما جرى من هذا شيء ، إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال : تشرّفني ان تجمل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ، ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامة .

فاخبرني فرجعت . فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثله ؛ فقلت للرامي : اخرج اليه فقل له : ولا كرامة لك لا أجيء معك ولا أدعك تجيء معي أيضاً ؛ وسئمته أقبح شتم .
فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فخرج ، فقال له : قل له : ومن أكرهك على هذا ! إنما أحببت أن نصلح ونتناس في طريقنا ، فإن كرهت هذا فلا تفعله ؛ وانصرف ولم يعاودني بعدها .

يأخذ بلحيته ويبيكي

كان إسحاق اذا غشي هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبيكي :

إذا المرء قامى الدهرَ وأبيض رأسه ،

وثلّم ثلّم الأبناء جوانبُه^١

فللموت خيرٌ من حياةٍ خبيسة

تُباعده طوراً ، وطوراً تُقاربه

الشعر لزبان بن سيار الفزاري .

١ ثلّم الأبناء : كسرت جوانبه .

المأمون والغناء

أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسع حرفاً من الأغاني، فكان أول من تغنى بحضرتة أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متستراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى النشء والمفتين. وكان حين أحب السماع سأل عنِّي، فجرحت^٢ بحضرتة، وقال الطاعن عليّ: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة؟

قال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله.

فأمسك عن ذكرني، وجفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ؛ فأخر ذلك بي؛ حتى جاءني علتويه يوماً فقال لي: أتأذن لي في ذكرك؟ فإننا قد دعينا اليوم.

فقلت: لا! ولكن عنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء.

فقال: هات؛ فألقيت عليه لحن في شعري:

يا سرحة الماء قد سدت موارده،
أما إليك طريق غير مسدود^٣

١ الحديث لاسحاق.

٢ جرحت: من جرحه سبه وشتمه.

٣ سرحة الماء: كنى بها هنا عن المראה.

لِحَاثِمٍ حَامٍ ، حَتَّى لَا حِيَامَ لَهُ ،
مُحْتَلًّا عَنِ طَرِيقِ الْمَاءِ الْمَطْرُودِ ١

قال : فمضى علّويه ، فلمّا استقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذي
أمرته ؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا علّويه !
لمن هذا ؟

قال : يا سيّدي ، لعبد من عبيدك جفوتته واطّرحته من
غير جرم .

فقال : إسحاق تعنّبي ؟

قال : نعم .

قال : يحضر الساعة .

فجاءني رسوله فصرت إليه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ ؛ فدنوت ،
فرفع يديه مادّهما ، فانكبتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأظهر من
برّسي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبرّه .

غنّاء يخالط الروح

غنّيت ٢ المعتضد يوماً وهو أميرٌ صوت إسحاق :

١ الحاتم : العطشان . حام حول الشيء : دار حوله . المحلّأ : المطرود عن الماء .

٢ الحديث لأحمد بن أبي العلاء .

يا سرحةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُهُ ،
أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط
الرُّوحَ ويُمَازجُ اللحمَ والدمَ .

يتهادون صوته

لما غنى إسحاقُ في شعره هذا :

لأَسْمَاءَ رَسَمُ عَفَا بِاللَّوِي
أَقَامَ رَهِينًا لَطُولِ الْبَلِي
تَعَاوَرَهُ الدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ
بَكَرًا الْجَدِيدِينَ حَتَّى عَفَا

فكان الناس يتهادون به كما يتهادون الطُّرْفَةُ والباكورة .

وقال أبو العُبَيْسِ : حدثني ابن مُخَارِقَ : أنَّ الوائِقَ بعث إلى أبيه
مُخَارِقَ لَمَّا صَنَعَ إِسْحَاقُ هَذَا الصَّوْتَ لِيُلْقِيَهُ عَلَيْهِ ، فَصَادَفَهُ عَلِيلاً ،
وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَلْقَنُ عَنْ إِسْحَاقَ طَرْحَ الْغِنَاءِ كَمَا يَلْقَنُهُ مُخَارِقُ ،
فَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ وَمَعَهُ مَحْفَافَةٌ ، وَقَالَ : لَا بَدَأَ أَنْ يَجِيءَ عَلِيٌّ كُلَّ حَالٍ .
فَتَحَامَلَ وَصَارَ إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ الصَّوْتَ عَنْ إِسْحَاقَ وَرَجَعَ .

الفارس الموصللي

وذكر محمد بن الحسين الكاتب :

أنَّ إسحاق كان يتعلَّى بالشجاعة والفُروسيَّة ويحبُّ أن يُنسبَ إليهما ، ويركب الحيل ويتعلَّمُ بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهيد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكصَ على عقبيته ؛ فقال أخوه طيّاب فيه :

وأنتَ تكلفتَ ما لا تُطيق ،
وقلتَ أنا الفارسُ الموصللي
فلمَّا أصابتك نُشابةٌ
رجعتَ الى سنِّك الأوَّلِ

اسحاق وحمزة الزييات

أخبرنا يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :

قال حمزة الزييات القاريّ : يا موصلليّ ، إنَّ لي فيك رأياً ، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مطعمٍ على مطعمٍ !

١ لعله أراد بسنك حالك ، او انه محرف عن شأنك

أَنْ تَفَنَيْتَ لِلشَّرْبِ الكَرَامِ « أَلَا
رَدَّ الخَلِيْطُ جِمَالَ الحَيِّ فَانفَرَقُوا »

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك الى
ما قلت ويحك ! لا يذهب بك الخرق^١

وقيل انت حسان الناس كلهم ،
وابن الحسان ، فقد قالوا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادات ، ولا
يثنى عليك ، إذا ما ضمك الخرق^٢

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُروى لابن المنذر
العزّوزيّ وللأصمعيّ .

يهجو الأصمعي ويسقطه

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر
الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشيّد

١ الخرق ، بفتح الخاء : الحمق وضعف الرأي .

٢ الخرق ، بكسر الخاء : واحدتها خرقة ، القطعة من الثوب ، وأراد بها هنا الكفن .

معايبه ، وأخبره بقائه شكره وبخله وضمة نفسه وأن الصنعة لا
تَرَكو عنده ، ووصف له أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى بالثقة والصدق
والسماحة والعلم ؛ وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به ؛
ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم ، وأنفذوا الى ابي
عُبَيْدَة مَنْ أقدمه .

أنشدت^١ الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في

صفة فرس

كأنه في الجُلِّ ، وهو سامي ،
مُشْتَمِلٌ جاء من الحَمَامِ^٢

يسور ، بين السَّرْجِ واللِّجَامِ ،
سُورَ القَطَامِيِّ الى اليَمَامِ^٣

قال : ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها ، فقال : هات بقيتها .
فقلت له : ألم تقل إنه لم يبق منها شيء ؟
فقال : ما بقي منها إلا عيونها .

ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاضني فعله ؛ فلمّا
خرج عرّفت الفضل بن الربيع قلّة شكره لعارفة ؛ وبخله بما عنده ؛

١ الحديث لاسحاق .

٢ الجل للدابة : كالثوب للانسان تصان به . المشتمل : المتلف بثوبه ،

٣ يسور : يشب ويشور . القطامي : الصقر .

٤ العارفة : المعروف .

ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله
لما عنده واشتغاله على جميع علوم العرب ، ورغبته فيه ، حتى أنفذ
إليه مالاً جليلاً واستقدمه ، فكانت سبب مجيئه به من البصرة .

الأصمعي القردي

أخبرني عمي عن إسحاق قال

جاء عطاء المذك بجماعة من أهل البصرة الى قرييب أبي الأصمعي ،
وكان نذلاً من الرجال ، فوجدته ملتفتاً في كيسائه نائماً في الشمس ،
فركضه^١ برجله وصاح به : يا قرييب ، قم ويلك ! فقال له : هل
لقيت أحداً من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أو من
الفقهاء أو من المحدثين ؟

قال : لا والله

قال : ولا سمعت شيئاً ترويه لنا أو تئشدهنا أو نكتبه عنك ؟

قال : لا والله

فقال لمن حضر : هذا أبو الأصمعي ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما
سمعت منه ، لا يقل لكم غداً أو بعده : حدثني أبي أو أنشدني
أبي ؛ ففضحه .

١ ركضه : لبطه .

قال الفضل^١ : ثم مرض الأصمعيّ ، وكانت الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت ، فعاده أبو ربيعة ، وكان يرغب في الأدب ويَبْرُ أهله ، فقال له الأصمعيّ : أقرضني خمسة آلاف درهم .

فقال : أفعل ؛ فقال له أبو ربيعة : فأيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أشتهي أن تُهديني إلى فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبرداً حسناً وسرجاً مُحَلَّى .

فقال : أفعل ؛ وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال :

أليس من العجائب أن قِرْدًا
أصَيْمِعَ ، باهليّاً ، يستطيلُ

ويزعُم أنه قد كان يُفْتِي
أبا عمرو ، ويسأله الخليل^٢

إذا ما قال : قال أبي عجيبنا
لما يأتي به ، ولما يقولُ

وما إن كان يدري ما دبِيرُ
أبوه ، إن سألت ، وما قبيل^٣

١ هو الفضل اليزيدي .

٢ أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب . الخليل : هو الخليل بن أحمد اللغوي النحوي الذي وضع علم العروض .

٣ لا يعرف دبيره من قبيله : لا يعرف ما خلفه وم امامه .

وجلَّسه عطاءُ الملِّك عاراً ،
تزولُ الراسياتُ ولا يزولُ

نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهدي ،
وبعضُ النُّصحِ أحياناً ثَقيلُ

فقلْ لأبي ربيعةَ ، إذ عصاني ،
وجارَ به عن القصدِ السبيلُ

لقد ضاعتُ برودك فاحتسبها ،
وضاعُ الفِصُّ والسيفُ الصَّليلُ^١

وسرجٌ كان للبهردون زِيناً ،
له في إثره ، جَزَعاً ، صهيلُ

وأما الحُمسةُ الآلافُ ، فاعلمُ
بأنك غَبِنَها لا تستقيلُ^٢

وأنَّ قضاءها ، فتعزُّ عنها ،
سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

١ احتسبها : عدها اجراً عند الله .

٢ الغبن : الخسارة .

وصيفة الواثق

كنت^١ جالسا بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجت وصيفة^٢ من القصر كأنها تُخوطُ بانٍ ، أحسنُ من رأتها عيني قطُّ ، تقدّمُ عدّةٌ وصائفَ بأيديهن المذاب^٣ والمناديل ونحو ذلك ، فنظرت إليها نظراً دهشٍ وهو يرمقني . فلما تبين إلحاح نظري قال : ما لك يا أبا محمد قد انقطع كلامك وبانت الحيرةُ فيك ! فتلجلجت .

فقال لي : رمتك والله هذه الوصفةُ فأصابت قلبك !

فقلت : غيرُ مَعلوم .

فضحك ثم قال : أنشدني في هذا المعنى ؛ فأنشدته قول المرار^٣ :

أَلَكْنِي إِلَيْهَا ، عَمَّرَكَ اللَّهُ يَا فَتَى !

بِآيَةٍ مَا قَالَتْ مَتَى هُوَ رَائِحٌ^٤

وَآيَةٍ مَا قَالَتْ لَهْنٌ عَشِيَّةً ،

وَفِي السُّتْرِ حُرَّاتُ الْوُجُوهِ مَمْلَأِحٌ

١ الحديث لاسحاق .

٢ المذاب : جمع مذبة وهي ما يذب به كالمروحة .

٣ هو المرار بن سعيد الفقعسي .

٤ الكني إليها : تحمل إليها رسالتي وبلغها عني . الآية : العلامة .

تَخَيَّرْنَ أَرْمَاكُنَّ ، فَارْمِينَ رَمِيَّةً
أَنفَا أَسَدٍ ، إِذْ طَرَّحَتْهُ الطَّوَارِحُ^١

فَلَبَّسْنَ مَسْلَاسَ الْوَشَاحِ كَأَنَّهُا
مَهَابَةٌ لَهَا طِفْلٌ بَرْمَسَانِ رَاشِحٌ^٢

فقال له الواصلق : أحسنتَ بحياتي وظهرتَ ، اصنع فيها لحناً ؛ فإن
جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك .
فصنعتُ فيها لحناً وغنَّيته إِيَّاهُ ، فاصطبج عليه وشرب بقيَّةَ يومه
وليلته حتى سكيرٍ ولم يقترح عليَّ غيره ، وانصرفت بالجارية .

الواصلق خاثر النفس

حدَّثني عمِّي عن إسحاق قال :
دخلت علي الواصلق يوماً وهو خاثر النفس^٣ ، فأخذتُ عوداً من
الحزانة ووقفتُ بين يديه فغنَّيته :

من الظباءِ ظبَاءُ هَمْهَا السُّخْبُ ،
ترعى القلوبَ ، وفي قلبي لها عُشْبُ

-
- ١ طرحته الطوارح : رمته وقذفته القاذفات ، الحوادث .
 - ٢ مسلاس الوشاح : لينته كناية عن ضمور خصرها . زهان : قصر بنواحي واسطه . الراشح : الصغير إذا قوي ومشى مع امه وسمى خلفها .
 - ٣ خاثر النفس : ثقلها غير طيب ولا نشيط .

أهوى الظباء ، اللواتي لا قرّون لها ،
وحليها الدرّ والياقوت والذهب
لا يفتربن ، ولا يسكنن باديةً ،
وليس يعرفن ما صرّ ولا حلب
وفي الذين غدوا ، نفسي الفداء لهم ،
شمس تبرقع أحياناً وتنتقب
يا حسن ما سرفت عيني ، وما انتهبت ،
والعين تسرق أحياناً وتنتهب
إذا يد سرفت ، فالقطع يلزمها ،
والقطع في سرق العينين لا يجب

قال : فهش إليّ ونشط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطحب وأمر
لي بمائة ألف درهم .

الموصلي والممون

كان إسحاق الموصلي يدخل في مبطنة وطيلسان مثل زيّ
الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة
بدراعة سوداء وطيلسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كل
هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف
درهم حتى لا تغتم ؛ وأمر بحملها إليه فحملت .

يفضله ويعظمه

حدّثني جعفر بن قدامة عن أبي خالد الأسلمي :
أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظم شأنه ويقدمه في الشعر
تقديماً مفرداً ، فقال : ما قولكم في رجل محدث تشبّه بذي الرّومة
وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبته إليه ، فلم يشكك أحدٌ سمعه
أنه له ولا فطينَ لما فعل أحدٌ إلا من حصل شعر ذي الرّومة كله ورواه .
فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

ومدرّجة للريح تيهاء لم تكن
ليجشمها زميلة غير حازم^١

يضلّ بها الساري ، وإن كان هادياً ،
وتقطع أنفاس الرياح النواسم^٢

تعسفت أفري جوزها بشميلة^٣ ،
بعيدة ما بين القرا والمناسم^٢

كان شرار المرو ، من نبذها به ،
نجوم هوت^٣ ، أخرى الليالي العواتم^٣

١ المدرجة : الطريق . التيهاء : المفازة التي لا يهتدى فيها . الزميلة : الضعيف الجبان .
٢ جوزها : وسطها ومعظمها . الشملة : الناقة السريعة . القرا : الظهر . المناسم : الأخفاف
٣ المرو : حجارة بيض رقائق براق . نبذها به : قذفها له بمناسمها .

الفراغ والشباب والجدّة

حدّثني عمّي عن إسحاق قال :

غنّيتُ المأمون يوماً هذين البيتين :

لأحسنُ من قرعِ المثاني ورجعِها ،

تواتر صوتِ الثغر يُقرعُ بالثغرِ

وسكرُ الهوى أروى لعظمي ومفصلي ،

من الشرب في الكاسات من عاتقِ الحمرِ

فقال لي المأمون : ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ

والشباب والجدّة .

يعتق غلامه

كان لاسحاق غلام يقال له فتّح ، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين

من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أيُّ شيءٍ أخبرك يا فتّح ؟

قال : خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : أنت تُطعم أهل الدار الحبز وأنا أسقيهم الماء .

فاستظرفتُ قوله وضحكتُ منه ثم قلت له : فأَيُّ شيءٍ تحبُّ ؟

قال : تُعتقني وتَهَب لي البغلين أسقي عليهما .

فقلت له : قد فعلت

جنون ابي البصير

كان^١ لأبي البصير الشاعر قبيان^٢، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه ، فقال أبي فيه :

سكتُ عن الغناء فما أماري

بصيراً ، لا ولا غيرَ البصيرِ .

مخافةً أن أُجننَ فيه نفسي ،

كما قد جنَّ فيه أبو البصيرِ .

الرشيد ينهاه

نهاني^٢ الرشيدُ ان أغنني أحداً غيره ، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنّيه ففعل ، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيدُ يومئذ بعقبِ علّةٍ قد عُوفي منها وليس يشرب ؛ فقال لي الفضل : انصرف إليّ الليلة حتى أهبّ لك مائة ألف درهم .

فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألا أغنّي إلاّ له أو لأخيك ، وليس

١ الحديث لحماد بن اسحاق .

٢ الحديث لاسحاق .

يخفى عليه خبري ، وأنا متَّهم عنده بالميل إليكم ، ولست أتعرض له
ولا أعرضك ؛ ولم أجبه .

فلما تكبهم الرشيد قال : إيه يا إسحاق ، تركتني بالرقّة وجلست
ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى !

فحلفتُ بحياته أني ما جالسته قطُّ إلاّ على المذاكرة والحديث ،
وأنه ما سمعني قطُّ أغني إلاّ عند أخيه جعفر ، وحلفتُ بتربة المهديّ
أن يسأل عن هذا جميع مَنْ في الدار من نسائه .

فسأل عنه فحدّثته بمثل ما ذكرته له ، وعرف خبر المائة الألف
الدرهم التي بذلها لي فردّتها عليه . فلما دخلت عليه ضحك إليّ ثم قال :
قد سألتُ عن أمرك فعرفتُ منه مثل ما عرفّفتني ، وقد أمرتُ لك بمائة
ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل .

المرسلات عرفاً

حدّثني الصّولي عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث ؛
فتحدّث مرّةً مجدّث لا إسناد له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا
من المرسلات عرفاً .

شعر في البرامكة

حدّثني الصّولي عن إسحاق قال :

أنشدتُ الفضلَ بنَ يحيى قولَ أبي الحَجناءِ نُصَيْبِ مولى
المهديِّ فيهم :

عند الملوكِ مَضْرَّةٌ ومنافعُ ،
وأرى البرامِكَ لا تَضُرُّ ، وتنفعُ

إنَّ كانَ شرًّا كانَ غيرهم له ؛
أو كانَ خيرًا ، فهو فيهم أجمعُ

إنَّ العروقَ ، إذا استسرَّ بها الثرى ،
أشِرَّ النباتُ بها ، وطابَ المزرَعُ ١

فإذا جهلتَ من امرئٍ أعراقه
وقديمه ، فانظر الى ما يصنع

قال فقال : كأننا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنا وصلناه
بثلاثين ألف درهم ، وإذا نُجِدَّ له الساعة صِلَةٌ له ولك معه لحفظك
الآبيات .

فوصلنا بثلاثين ألف درهم .

يسترضي المأمون بشعر

وأخبرني الصَّوْلي قال : حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجهمَّاز قال :

١ استسر : خفي . أشر النبات : مرح وطال .

عَتَبَ المأمونُ عليَّ إسحاقَ في شيءٍ ؛ فكتبَ اليه رِقةً وأوصلها
اليه من يده ؛ ففتَحها المأمونُ فاذا فيها قوله :

لا شيءَ أعظمُ من جُرْمي ، سوى أُملي
لحسنِ عَفوكَ عن ذنبي وعن زَلْلي
فإن يكن ذا وذا في القَدْرِ قد عَظُما ،
فأنتَ أعظمُ من جُرْمي ومن أُملي

فضحكَ ثم قال : يا إسحاقُ ، عذركَ أعلى قدرًا من جُرْمِكَ ، وما
جال بفكرِي ، ولا أخطيرتُه بعد انقضائه عليَّ ذكري .

صَبوحُ عندِ الواثقِ

خرجنا^١ مع الواثقِ الى القاطول^٢ للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساءِ
والمغنينِ وفيهم عمرو بن بانة وعلتويه ومُخارق وعقيد ، وقدمَ إسحاقُ
في ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّدَ على القاطولِ ثم عاد فأكلَ وشربَ
أقداحًا ، ثم أمرَ بالبُكورِ الى الصَّبوحِ فباكرنا واصطبَحنا . فغنى عمرو
ابن بانة لحنَ ابراهيمِ الموصلي :

١ الحديث ليزيد بن محمد المهدي .

٢ القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي ، حفره كسرى أنوشروان العادل .
وهو أيضاً اسم نهر آخر حفره الرشيد في موضع سر من رأى قبل أن يعمرها المعتصم ،
وكان يأخذ كذلك من دجلة .

بلوتُ أُمُورَ النَّاسِ طَرّاً ، فأصبحتُ
مُدْمِمةً عِنْدِي ، بَرَاءَةً مِنَ الْحَمْدِ

وأصبح عِنْدِي مِنَ وَثِيقَتِ بَقِيْبِهِ
بَغِيضَ الأيَادِي ، كُلُّ إِحْسَانِهِ نَكْدٌ^١

فغَنّاهُ عَلَيَّ مَا أَخَذَهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَقَدْ غَيَّرَهُ .

فَقَالَ الْوَائِقُ لِاسْحَاقَ : أَتَعْرِفُ هَذَا اللَّحْنَ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ ، هَذَا لِحْنُ أَبِي وَلَكِنَّهُ بِمَا زَعَمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَنَّهُ

جَنَدَرُهُ وَأَصْلَحَهُ فَأَفْسَدَهُ وَدَمَّرَ عَلَيْهِ^٢ .

فَقَالَ لَهُ : غَنِّهِ أَنْتَ .

فغَنّاهُ فَأَتَى بِهِ عَلَيَّ حَقِيقَتَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ الْوَائِقُ جَدّاً ؛ فغَمَمْتُ ذَلِكَ عَمْرُو

ابْنَ بَانَةَ فَقَالَ لِاسْحَاقَ : أَفَأَنْتَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَقُولَ هَذَا فِيهِ !

قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِثْلُهُ ، أَمَا عَلَيَّ الْحَقِيقَةُ فَأَنَا عَبْدُهُ وَعَبْدُ أَبِيهِ ،

وَلَيْسَ هَذَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ ؛ وَأَمَا الْغِنَاءُ فَمَا دَخَوْلُكَ أَنْتَ بَيْنَنَا فِيهِ ! مَا

أَحْسَنْتَ قَطُّ أَنْ تَأْخُذَ فَضْلاً عَنْ أَنْ تَغْنِيَّ ، وَلَا قِمْتَ بِأَدَاءِ غِنَاءٍ فَضْلاً

عَنْ أَنْ تَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَإِلَّا فغَنَّ أَيَّ صَوْتٍ سَمَّيْتُ بِمَا أَخَذْتَهُ

عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ ، فَإِنْ لَمْ أَوْضِحْ لَكَ وَلِمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا

يَسْلُمُ لَكَ صَوْتٌ مِنْ نَقْضَانِ أَجْزَاءٍ وَفَسَادِ صِنْعَةٍ فِدْمِي بِهِ رَهْنٌ .

١ النكد : قلة العطاء . وفي البيت انواء .

٢ يقال : دمر عليه اذا دخل بغير اذن وهجم هجوم الشر .

فأساء عمرو الجوابَ وأغاظ في القول ؛ فأمضته الواثق وشتّمه
وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم . فلما كان من الغد دخل إسحاقُ علي
الواثق فأنشده :

ومجلسٍ باكرتهُ بُكورا ،
والطيرُ ما فارقتِ الوُكورا

والصبحُ لم يستنطقِ العُصفورا
على غديرٍ لم يكن دُعُثورا ١

لم تَرَ عيني مثله غديرا ،
يجري حبابُ مائه مسجُورا ٢

على حصىٍ نحسبهُ كافورا ،
تسمع للماءِ به تخريرا

ينسجُ أعلى متنيه ، سطورا ،
نسيمُ ريجٍ ، قد وُنت فتورا

حتى تحالَ منته حصيرا ،
والشربُ قد حفثوا به حضورا

١ الدعثور : الحوض المثلم .

٢ المسجور : المنظوم المسترسل .

وأمرُوا السَّاقِيَ أَن يُدِيرَا
كَأْسَهُمُ الْأَصْغَرَ وَالْكَبِيرَا

وَأَعْمَلُوا السِّمَّ مَعًا وَالزَّرِيرَا ،
وَجَاوَبَتْ عِيدَانُهُمْ زَمِيرَا

وَقَرَّبُوا الْمُغَنِّيَ النَّحْرِيرَا ،
مُقَدَّمًا فِي حَذَقِهِ ، مَشْهُورَا

فَهُمْ يَطِيرُونَ بِهِ سُرُورَا
وَلَا تَرَى فِي شُرْبِهِمْ تَقْصِيرَا

وَلَا لِيَصْفُو عَيْشَهُمْ تَكْدِيرَا ،
وَلَا لِخُلُقٍ مِنْهُمْ نَظِيرَا

إِلَّا رُجِيئًا مِنْهُمْ سَكِيرَا ،
مُعَرَّبِدًا ، مُوَضَّحًا ، شَرِيرَا

مُدَّعِيًا لِلْعِلْمِ ، مُسْتَعِيرَا ،
يُرُومُ سَعِيًّا كَاذِبًا ، مَغْرُورَا

وَأَن يَكُونَ عَالِمًا بَصِيرَا ،
مُفَضَّلًا بَعْلَمِهِ ، مَذْكُورَا

١ الزمير : الغناء بنفخ القصب .

عَمَزَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ صَبُورًا ،
فَعَاذَ مِنِّي هَارِبًا مَدْعُورًا

بِمُعْشَرٍ تَحْسَبُهُمْ حَمِيرًا
أَشَدَّ مِنْهُمْ حُمُقًا كَثِيرًا

لَا يَنْطِقُونَ الدَّهْرَ إِلَّا زُورًا ،
حَتَّى إِذَا كَسَّرَتْهُ تَكْسِيرًا

كَالْبَيْتِ لَمَّا ضَغَمَ الْخَنْزِيرًا ،
وَأَسَى أَنْزَامًا خَاسِنًا ، مَدْحُورًا

مَعْتَرَفًا بِذُلِّهِ ، مَقْهُورًا ،
وَكُنْتُ قَدِيمًا ضِعْفًا هَاصُورًا

مَعْتَلِبًا لِقَرْنِهِ ، عَقُورًا ،
وَمَا أَخَافُ الزَّمَانَ الْعَثُورًا

إِذْ كُنْتُ بِالْوَائِقِ مُسْتَجِيرًا ،
قَدْ عَزَّ مَنْ كَانَ لَهُ نَصِيرًا

إِمَامٌ عَدْلٍ دَبَّرَ الْأُمُورًا
بِرَأْيِهِ ، وَلَمْ يُرِدْ مُشِيرًا

١ ضغمه : عضه ملء فيه .

ترى من الحق عليه نورا ،
تقبل المهدي والمنصورا
وجده الأدنى ثقى وخيرا ،
ورثه المعتصم التدبيرا
فأصبح الملك به منيرا ،
وأصبح العدل به منشورا
فدأمن الناس به المحظورا ؛
إذا علا المنبر والسريرا
رأيت بدراً طالماً منيرا ،
بحراً ؛ ترى الغني والفقيرا
يرجون منه نائلاً غزيرا ؛
والله لا زلت له شكورا
لا جاحد الشعمى ولا كفوراً ؛
وكنت بالشكر له جديراً

أشعار في الفروسية

أنشدني^٢ الأصمعي قول الأعشى

١ . تقبل : اشبه .

٢ . الحديث لامعاق .

إن تركبوا ، فركوب الخيل عادتنا ؛
أو تنزلون فإننا مشرّ نزل

ثم قلت له : أي شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم
لا يبخل بمثل هذا ، فأنشدني لربيعة بن مكرم الضبي :

ولقد شهدت الخيل ، يوم طرادها ،
بسليم أوظفة القوائم هيكل^١

فدعوا نزال ، فكنت أوّل نازل ؛
وعلام أركبته إذا لم أنزل^٢

يعجبه غناء ملاحظ

اجتمعنا^٣ يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن
بُسَيْبِشْر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي^٤ وعندنا ملاحظ^٥ تُغَنِّيْنَا ،
وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم
ومن عندكم ؟

فأخبرناه بخبرها

١ شهدت الخيل : أي شهدت فرسان الخيل . الطراد : حمل الفرسان بعضهم على بعض
بسليم : أي بفرس سليم . الأوظفة ، واحدها وظيف : ما فوق الحافر من الفرس
الهيكل : الضخم .

٢ نزال : انزل ، معدول من النازلة ، المقاتلة

٣ الحديث لعبد الله بن الربيع .

فقال : لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفُّظ منِّي
عن طبعها ، ولكن دعوها وهوأها حتى ننتفع بها .

وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولاً ، وابتدأت
وغنَّت ، والصنعة لفليح بن أبي العوَّراء . هكذا أخبرنا إسحاق أن
الغناء لفليح :

إني تعلَّقتُ ظيباً شادناً خرقاً ؛
علَّقتُه شقوةً منِّي ، وما علِّقاً

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ
شديد كان بين يديه وهو يستعيدُها ؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب :

سأشرب ما دامت تغنِّي ملاحظُ ،
وإن كان لي في الشيب ، عن ذلك ، واعظُ

ملاحظُ غنَّينا بعيشك ، وليكن
عليك لما استحفظتُه منك حافظُ

فأقسم ما غنَّي غنَاءك مُحسِنُ ،
مُجيدُ ، ولم يلفِظْ كلفِظك لافظُ

وفي بعض هذا القول منِّي مساءةٌ ،
وغمِظُ شديدٌ للمغنَّين غاِظُ

الرشيد يزجره

قال لي الرشيد يوماً : بأي شيء يتحدث الناس ؟
قلت : يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة وتولي الفضل بن
الربيع الوزارة .

فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك ويملك !
فأمسكت . فلما كان بعد أيام دعا بنا ، فكان أول شيء غنّيته

إذا نحن صدقناك ،
فضرر عندك الصدق

طلبنا النفع بالباطل ،
إذ لم ينفع الحق

فلو قدم صبياً ، في
هواه ، الصبر والرفق

أقدمت على الناس ،
ولكن الهوى رزق

وقيل : إن الشعر لأبي العتاهية .

قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صرت حقوداً .

١ الحديث لإسحاق .

في مجلس المعتصم

ودخلتُ على المعتصم يوماً بسراً مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه
وعنده عكّويه ومُخارقٌ ، ففنّاه مخارق صوتاً فلم ينشط له ، ثم غناه
عكّويه فأطربه . فلما رأيتُ طربته لغناء عكّويه دون غناء مُخارق
اندفعتُ ففنيته لحي :

تَجَنَّبْتَ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى ؛
وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعكّويه بخمسمائة دينار ، ولم يأمر لمخارق بشيء .

نسبة هذا الصوت

تَجَنَّبْتَ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى ؛
وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألاَ إنما غادرتِ ، يا أمَّ مالكِ ،
صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ

الشعر للمجنون .

وغنى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا
من هذا الشعر ، والبيتان المضافان

بَرَى اللّٰحْمَ عَنْ أَجْنَاءِ عَظْمِي وَمَنْكَبِي ،
هَوَّى لِسُلَيْمِي فِي الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ

وَإِنِّي سَعِيدٌ أَنْ رَأَيْتُكَ لَكَ ، مَرَّةً
مِنَ الدَّهْرِ ، عَيْنِي مَنْزِلًا فِي بَنِي أَبِي

غناء بلحن اسحاق

غَنَّى عَلَّوِيهِ بَيْنَ يَدَيِ الْوَائِقِ يَوْمًا :

خَلِيلٌ لِي سَاهِجْرُهُ
لذنبٍ لستُ أَذْكَرُهُ

وَلَكَنِّي سَارِعَاهُ ،
وَأَكْتُمُهُ وَأَسْتُرُهُ

وَأُظْهِرُ أَنِّي رَاضٍ ،
وَأَسْكُتُ لَا أَخْبِرُهُ

لَكِي لَا يَعْلَمُ الْوَاشِي
بِمَا عِنْدِي ، فَأَكْسِرُهُ

الشعر والغناء لاسحاق .

فطرب الوائقُ طرباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لعلّويه

بألف دينار ، ثم قال : أهذا اللحنُ لك

قال : لا يا أمير المؤمنين ، هو لهذا الهزبر ، يعني إسحاق ، وكان
إسحاق حاضراً ، فضحك الواصل وقال : قد ظلمناه إذاً ، وأمر لإسحاق
بثلاثين ألف درهم .

يعارض ابن سريج

كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعلويه حاضر ،
فغناه علويه :

عَلَّقْتُكَ نَاشِئاً ، حَتَّى
رَأَيْتِ الرَّأْسَ مُبْيَضاً

عَلَى يُسْرِ وَإِعْسَارٍ
وَفَيْضِ نَوَالِكِم فَيْضاً

أَلَا أَحَبُّ بِأَرْضِ كُنْتَ
تَحْتَلِّينَهَا ، أَرْضاً

وَأَهْلُكَ حَبِئْدا مَا هُمْ ،
وَإِنْ أَبَدَا وَآلِي الْبُغْضَا

الشعر لابن أذينة ، والغناء لابن سريج .

فغناه إياه في الثقل ، ثم غناه هزجاً ، فقال له الفتح : لمن الثقل
فقال : لابن سريج .

قال : فلمن الهزج ؟

قال : لهذا الهزبر ، يعني إسحاق .

فقال له الفتح : وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ ! أَتُعَارِضُ ثَقِيلَ ابْنِ سُرَيْجٍ

بِهَزَجِكَ ؟

قال : فقبض إسحاق على لحية ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلا

بتحريكه الذقن .

يصوب قول المعتصم

دخلت^١ يوماً على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ،
واستدناي فدنوت منه ، واستدناي فتوقفت خوفاً من أن أكون
مُوازياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم ، ففطن المعتصم فقال : إن
إسحاق لكريم ، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه .
ثم تحدثنا وأفضت بنا المذاكرة إلى قول أبي خراش الهذلي :

حميدت إلهي ، بعد عروة ، إذ نجنا
خراش ، وبعض الشر أهون من بعض

فأنشدها المعتصم إلى آخرها ، وأنشد فيها :

ولم أدر من ألقى عليه رداة ،
سوى أنه قد حط عن ماجد محض^٢

١ الحديث لإسحاق .

٢ البيتان من قصيدة لابي خراش الهذلي يرثي بها اخاه عروة بن مرة ويذكر نجاته خراش ابنه

والرواية ' « قد بُزَّ عن ماجدٍ محض » ، ففعلِطتُ وأسأتُ الأدبُ ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكتاب وما أُخِذَ عن المعلم ؛
والصحيح « بُزَّ عن ماجدٍ محض » .

فقال لي : نعم صدقتَ ، وغمزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق .
وفطِنتُ لغلطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنه قد أشفق عليّ من بادرة تبدر
من إسحاق ؛ لأنه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعْظِمَ
عقوبته ويُطِيلَ حبسه كأننا من كان ؛ فنبّهني ، رحمه الله ، على ذلك
حتى أمسكتُ وتنبّهت .

الهمزج القديم

قال عمرو بن بانة :

كنا عند المأمون ، فقال : ما أقلّ الهمزج في الغناء القديم !

وقال إسحاق : ما أكثره !

ثم غناه نحو ثلاثين صوتاً في الهمزج القديم . فقلت لأصحابي :

هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية !

إسحاق الماكر

أخبرنا يحيى عن إسحاق قال :

قال لي العباس بن جرير : قاتلك الله ! مذكّرُ فِطْنَةٍ ، وهؤنستُ

طبيعة ، ما أمكرك !

ينشد الأعراب شعره

حدثنا يحيى بن علي عن إسحاق قال :

أنشدتُ بعض الأعراب :

أَجَرَّتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ ،
لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقِ ؟

إِنَّ الظَّعَائِنَ ، يَوْمَ نَاصِفَةِ اللُّوَى ،
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةَ المُشْتَاقِ ١

لَمْ أَنَسَ ، إِذْ أَلْمَحْنَنَا ، فِي رِقَبَةٍ
مَنْهِنٍ ، بِيضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ ٢

وَأَشْرَنْ ، إِذْ وَدَّعْنَنَا ، بِأَنَامِلٍ
حُمْرٍ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ رِقَاقِ ٣

وَرَمَّتْكَ هِنْدٌ ، يَوْمَ ذَاكَ ، فَأَقْصَدَتْ ،
بِأَعْرَ عَعْدَبٍ بَارِدٍ بَرَّاقِ ٤

١ الناصفة : مجرى الماء .

٢ الترائب : واحدها تريبة : عظام الصدر . التراقي ، واحدها ترقوة : مقدم الحلق في اعلى الصدر .

٣ الهداب : الحياوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه دون حاشيته . الدمقس : الحرير .
٤ أقصدت : أصابت ولم تخطئ .

وتنفّست ، لما رأتك ، صبايةً ،
نفساً تصعدُ في حشَى خفاق

ولقد حذرتُ ، فما نجوت مُسكماً ،
حتى صرعتُ مصارعَ العشاق

إنّ الخلافة أثبتتْ أوتادها ،
لما تحملها أبو إسحاق

ملكٌ أغرُّ يلوح ، فوقَ جبينه ،
نورُ الخلافة ، ساطعَ الأشراق

كسبيّ الجلال مع الجمال ، وزانه
هدْيُ الثقي ، ومكارمُ الأخلاق

صحّتْ عُروقتك في الجياد ، وإنما
يجري الجوادُ بصحّة الأعراق

ذخّر الملوكُ ، فكان أكثرُ ذخّرهم ،
للملك ، ما جمعوا من الأوراق

وذخّرتْ أبناءَ الحروب ، كأنهم
أسدُ العرينِ ، على مُتونِ عتاق

كم من كريمة مفسر ، قد أنكحت
بسميوفهم قسراً ، بغير صداق

وعزيرة في أهلها وقطينها ،
قد فارقت بعلًا بغير طلاق^١

قال فقال لي : أفليت والله يا أبا محمد

فقلت له : وما أفليت ؟

قال : رعيت فلاة لم يرعها أحد غيرك

المغنون يتلاشون أمامه

أخبرنا يحيى بن عليّ عن عافية بن شبيب قال :

قلت لزُرور بن سعيد : حدثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا

حضر معكم عند الخليفة ، وهو منقطعٌ ذاهب ، وحلوقكم ليس مثلها

في الدنيا ؟

فقال : كان والله لا يزال بجذقه ورفقه وتأنّيه ولطفه حتى نصيرَ

معه أقلّ من التراب .

١ قطينها : اموؤها وحشمها .

شعره في الشيب

دخلت^١ على الفضل بن الربيع فقال لي : يا إسحاق ، كثر
والله شيبك !

فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف :

الشيبُ إن يَظْهَرُ ، فإنَّ وراءه
عُمرًا يكون خِلاله مُتَنَفِّسُ

لم يَنْتَقِصْ منِّي المشيبُ قُلامَةً ،
ولَسَاحُنُ حينَ بدا أَلْبُ وأَكِيسُ^٢

قال : هاتِ يا غلامِ دواةً وقرطاساً ، أكتبُهما لي لأتسلَّى بهما

يتكهنون عن غائب

ذكر^٣ المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى
نقول ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنرد ؛ وقال قوم :
يغني ؛ فبلغتني النبوة ، فقال : قل يا إسحاق .

١ الحديث لاسحاق .

٢ ألب : أكثر لباً ، عقلاً . أكيس : أكثر كياسة ، ظرفاً .

٣ الحديث لاسحاق .

قلت : إِذَا أَقُولُ وَأُصِيبُ .

قال : أَتَعْلَمُ الْغَيْبَ ؟

قلت : لا ، وَلَكِنِّي أَفْهَمُ مَا يَصْنَعُ وَأَقْدِرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ .

قال : فَاِنْ لَمْ تُصِيبْ ؟

قلتُ : فَاِنْ أَصِيبُ ؟

قال : لَكَ حُكْمُكَ ، وَاِنْ لَمْ تُصِيبْ ؟

قلت : لَكَ دَمِي .

قال : وَجَبَّ .

قلت : وَجَبَّ .

قال : فَقُلْ .

قلت : يَتَنَفَّسُ .

قال : فَاِنْ كَانَ مَيْتًا ؟

قلت : تُحْفِظُ السَّاعَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا ، فَاِنْ كَانَ مَاتَ فِيهَا أَوْ

قَبْلَهَا فَقَدْ قَمَرْتَنِي .

فَقَالَ : قَدْ أَنْصَفْتُ .

قلتُ : فَالْحُكْمُ .

قال : احْتَكَمْتُ مَا شِئْتُ .

قلت : مَا حُكْمِي إِلَّا رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : فَاِنْ رِضَايَ لَكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،

أَتَرَى مَزِيدًا ؟

فقلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين .
قال : فانها مائتا ألف درهم ، أتري مزيداً ؟
قلتُ : ما أحوجني الى ذلك يا أمير المؤمنين .
قال : فانها ثلثمائة ألف ، أتري مزيداً ؟
قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين .
قال : يا صفيق الوجه ! ما نزيدك على هذا شيئاً

سفينة محمد المخلوع

عمل محمد المخلوع^١ سفينة^٢ فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار .
فلما أمعن وأنا مقبل^٣ على بعض أبواب السفينة صاح : إسحاق إسحاق !
فوثبت^٤ فدنوت^٥ منه ، فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟
فقلت : تحسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله ببقائك .
فقام يريد الخلاء وقال لي : قل فيها أبياتاً .
فقلت ، ونخرج فقمتم^٦ بالأبيات ، فاشتهاها جداً وقال لي : أحسنت^٧
يا إسحاق ، وحياتك لأهبن^٨ لك عشرة آلاف دينار
قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك !
فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر في خبره الأبيات

١ هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد ، سمي المخلوع لان أهل مكة والمدينة
وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان .

يتشوق الى أهله

غَنَيْتُ^١ الْوَائِقَ فِي شَعْرِ قَلْبِهِ وَأَنَا عِنْدَهُ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى وَقَدْ طَالَ
مُقَامِي وَاسْتَقْتُ^٢ إِلَى أَهْلِي ، وَهُوَ :

يَا حَبِذَا رِيحُ الْجَنُوبِ ، إِذَا بَدَتْ^٣
فِي الصَّبْحِ ، وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حَمَلَتْ^٤ بَرْدَ النَّدَى ، وَتَحَمَّلَتْ^٥
عَبَقًا^٦ مِنَ الْجَشَجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ^٧

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكانَ يا حبذا
ريحُ الجنوبِ : يا حبذا ريحُ الشمالِ، ألم يكن أرقَّ وأعذَى^٣ وأصحَّ^٤
للأجساد وأقلَّ^٥ ونخامةً وأطيبَ للأنفُسِ ؟

فقلت : ما ذهب عليٌّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد .
فقال : قل .

فقلت :

ماذا تهيج ، من الصَّبابة والهوى ،
للصَّبِّ ، بعد ذهوله والياسِ

١ الحديث لاسحاق .

٢ الجشجات : شجر أصفر مر طيب الريح . البسباس : نبات طيب الريح وهو الشمار .

٣ أعذَى : أطيّب .

فقال الوراق : إنما استطبت ما تجي به الجنوب من نسيم أهل
بغداد لا الجنوب ، وإليهم اشتقت لا إليها .
فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .
وقمت فقبلت يده ، فضحك وقال : قد أذنت لك بعد ثلاثة
أيام ، فامض راشداً ، وأمر لي بمائة ألف درهم .

جعفر البرمكي والهاشمي

أخبرني يحيى بن علي عن إسحاق قال :
لم أر قط مثلاً لجعفر بن يحيى ، كانت له فتوةٌ وظرفٌ وأدبٌ
وحسنٌ غناءٍ وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزلٍ حظٍّ من كل فنٍّ
من الأدب والفتوة .
فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنه نائمٌ ، فانصرفتُ ؛
فلتقتني جعفرُ بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟
فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ .
فقال : قف مكانك .

ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائمٌ ؛
فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسير بنا إلى المنزل حتى
نخلو جميعاً بقيّةَ يومنا وتغشيني وأغشيك ونأخذ في شأننا من
وقتنا هذا

قلت : نعم

فَصِرْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَطَرَحْنَا ثِيَابَنَا ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَطَهَمَنَا ، وَأَمَرَ
بِإِخْرَاجِ الْجَوَارِي وَقَالَ : لَتَبَرُّزُنَّ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ كَتَّشِمِينَ مِنْهُ .

فَلَمَّا وُضِعَ الشَّرَابُ دَعَا بِقَمِيصٍ حَرِيرٍ فَلَبِسَهُ وَدَعَا بِخَذُوقٍ فَتَخَلَّقَ
بِهِ ، ثُمَّ دَعَا لِي بِمَثَلِ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَفْتَنِينِي وَأُغْنِيهِ ؛ ثُمَّ دَعَا بِالْحَاجِبِ
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْأَلَّا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، وَإِنْ جَاءَ رَسُولٌ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مَشْغُولٌ ؛ وَاحْتِطَا فِي ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ إِلَى
جَمِيعِ الْحُجَّابِ وَالْحَدَمِ ؛ ثُمَّ قَالَ : إِنْ جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَذِّنُوا لَهُ ،
يَعْنِي رَجُلًا كَانَ يَأْتِسُ بِهِ وَيَمَارِحُهُ وَيَحْضُرُ تَخَلُّوَاتِهِ .

ثُمَّ أَخَذْنَا فِي شَأْنِنَا ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّمَا لَعَلِي حَالَةٌ سَارَّةٌ عَجِيبَةٌ إِذْ رُفِعَ
السُّتْرُ ، وَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ قَدْ أَقْبَلَ ، وَغَلِطَ الْحَاجِبُ
وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَأْتِسُ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ مِنْ جِلَالَةِ الْقَدْرِ وَالتَّقَشُّفِ وَفِي
الْإِمْتِنَاعِ مِنْ مَنَادِمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ أَمْرٍ جَلِيلٍ ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ اجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَشْرَبَ مَعَهُ أَوْ عِنْدَهُ قَدْحًا فَمِمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ رَفْعًا لِنَفْسِهِ .
فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مَقْبِلًا ، أَقْبَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَادَ
جَعْفَرُ أَنْ يَنْشَقَّ غَيْظًا .

وَفَهِمَ الرَّجُلُ حَالَنَا ، فَأَقْبَلَ نَحْوَنَا ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى الرَّوَّاقِ
الَّذِي نَحْنُ فِيهِ نَزَعَ قَلْبَئِسِيَّتَهُ فَرَمَى بِهَا مَعَ طَيْلَسَانِهِ جَانِبًا ؛ ثُمَّ
قَالَ : أَطْعِمُونَا شَيْئًا .

فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطمعهم ، ثم دعا برطل فشربه ، ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضادتي الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه .

فقال له جعفر : ادخل .

ثم دعا بقميص حرير وتخلوق فلبس وتخلق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال ، ثم اندفع ليغتنينا ، فكان والله أحسننا جميعاً غناء .

فلما طابت نفس جعفر وسرّي عنه ما كان به التفت اليه فقال له : ارفع حوائجك .

فقال : ليس هذا موضع حوائج .

فقال : لتفعلن .

ولم يزل يلبس عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجدٌ ، فأحب أن ترضاه .

قال : فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك ، فهات حوائجك

فقال : هذه كانت حاجتي .

قال : ارفع حوائجك كما أقول لك

قال : عليّ دينٌ فادح .

قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببت أن تقبضها

١ عضادتا الباب : خشبته من جانبيه .

فاقبضها من منزلي الساعة ، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن
قدرك يجلّ عن أن يصلك مثلي ، ولكنني ضامن لها حتى تحمّل من
مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسك أيضاً .

قال : ابني ، تكلّم أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمه .

قال : قد ولّاه أمير المؤمنين مصرَ وزوجه ابنته العاليةَ ومهرها
ألفي ألفِ درهم .

قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سكر الرجل ، أعني جعفرًا . فلما
أصبحت لم تكن لي همّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد؛ وإذا جعفر بن يحيى
قد بكر ، ووجدت في الدار جلّبة ، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه
قد دعي بهم ، ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد ؛
فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد
رضي عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألفِ درهم ، فاقبضها من جعفر بن
يحيى الساعة .

ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا أنني قد زوجتُه العاليةَ بنت أمير
المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألفِ درهم من مالي وولّيته مصر .

قال : فلما خرج جعفر بن يحيى سأله عن الخبر ؛ فقال : بكرتُ
على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كتب فيه حرفاً حرفاً ،
ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنّع ؛ فعجّب لذلك وسرّ به ؛ ثم
قلت له : قد ضمّنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضماناً .

فقال : ما هو ؟ فأعلمته .

قال : أوفٍ له بضمائك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيت .

أبوه يعجب بلحنه

أخبرني عمِّي عن إسحاق قال :

لما صنعت لحنِي في :

هل الى نظرةٍ إليكِ سبيلُ

ألقيته على علّويه ، وجاءني رسول أبي بطبّق فأكهة باكورة ؛
فبعثتُ إليه : برك الله يا أبتِ ووصلك الساعةَ أبعث إليك بأحسنَ
من هذه الباكورة .

فقال : إني أظنه قد أتى بأبدةٍ ١ .

فلم يلبث أن دخل عليه علّويه فغشاه الصوت ؛ فعجّب منه
وأعجب به ، وقال : قد أخبرتكم أنه قد أتى بأبدةٍ . ثم قال لولده :
أنتم تلو مونني على تفضيل إسحاق ومحبتي له ، والله لو كان ابنَ غييري
لأحببته لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلاّ به .
وقد ذكر أبو حاتم الباهلي أن هذه القصة كانت لما صنع إسحاقُ
لحنه في :

غَيَّضُنْ من عَبْرَاتِهِنَّ وقلن لي

١ الأبدية : الغربية .

لا رواية ولا دراية

سألت^١ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ، فقال : دعني منه ، فليست له رواية ولا دراية ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمارة

أخبرني الحسن بن علي عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمَةُ الخُمَارَةُ جارتِي ، وكانت تُخَصِّصُنِي بِأَطْيَبِ الشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ ، فَمَاتَتْ فَكَلَّتْ أَرْثِيهَا :

أَضَعْتُ هُشَيْمَةَ فِي الْقُبُورِ مَقِيمَةً ،
وَوَخَلْتُ مَنَازِلَهَا مِنْ الْفِتْيَانِ

كَانَتْ ، إِذَا هَجَرَ الْمُحِبَّ حَبِيبُهُ ،
دَبَّتْ لَهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ^٢

حَتَّى يَلْبِنَ لَنَا تُرِيدَ قِيَادَهُ ،
وَيَصِيرَ سَيِّئُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ

١ الحديث لعلي بن يحيى .

٢ دبت له : مشت مشية الطفل

خاتم الكرام

سألني^١ إدريس بن أبي حفصة حاجة ، فقضيتها له وزدت فيما سألت ،
فقال لي :

إذا الرجالُ جَهِلُوا المكارمًا ،
كان بها ابنُ الموصليِّ عالمًا
أبقاك ذو العرش بقاءً دائماً ،
فقد جُعِلتَ للكرام خاتماً
إسحاقُ ! لو كنتَ لقيتَ خاتماً
كان نداءً لنداك خادماً

قال حمّاد : وقال لي أبي : كان إدريسُ سخياً من بين آل أبي
حفصة ، فنزل به ضيفٌ ، فتنمّرت امرأتهُ عليه ، فقال لها

من شرّ أيامك ، اللاتي خلقت لها ،
إذا فقدتِ ندى صوتي وزواري^٢

تشاغله عن دعوة

كان^٣ عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ،

١ الحديث لاسحاق .

٢ ندى الصوت : صداه .

٣ الحديث لاسحاق .

فتأخرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً وتشاغلتُ عنه برجلٍ من الأعراب
كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً .

وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديّني؛ فسألوا ابن أبي عيينة
ان يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه الى الخُلُفِ ؛ فكتب إليّ :

يا مَلِيّاً بالوعدِ والخُلُفِ والمَطْلِ ،
بطيئاً عن دعوة الأصحابِ

لَهَجاً بالأعرابِ ، إنَّ لدينا
بعضَ ما تشتهي من الأعرابِ

قد عرفنا الذي شغلت به عناءً ،
وإن كان غيرَ ما في الكتابِ

قال : فكتبتُ الى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات

قال حمّاد : وأظنه إبراهيم بن المهديّ :

قد فهمتُ الكتابَ أصحك الله ،
وعندي عليه ردُّ الجوابِ

ولعمري ما تُنصفون ، ولا كان
الذي جاء منكم في حسابي

لستُ آتيك فاعلمنّ ، ولا لي
فيك حظٌّ ، من بعدِ هذا الكتابِ

يعاتب ابن هشام

قال حمّاد : قال أبي : وكتبت الى علي بن هشام وقد اعتللت
أياماً فلم يأتني رسوله :

أنا عليلٌ منذُ فارقتني ،
وأنتَ عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ، ولا هكذا ،
فيا مضي ، كنتَ بنا تفعلُ

فلما وصلتُ اليه رقعتي ركبَ إليّ وجاءني عائداً .

عودته من البصرة

ولما خرج أبي إلى البصرة خرّجته الأولى وعاد ، أنشدني في ذلك
لنفسه :

ما كنتُ أعرفُ ما في البينِ من حَزَنِ ،
حتى تنادوا بأنّ قد جيءَ بالسُّفُنِ

قامتُ تودّعني ، والعينُ تغليبها ،
فجمّجتُ بعضَ ما قالتُ ولم تُبينِ

١ جمجم الكلام : لم يبينه

مالت عليّ تفديني . وترشفتني ،
كما يميل نسيمُ الرّيحِ بالعُصنِ
وأعرضتُ ، ثمّ قالت ، وهي باكية :
يا ليت معرفتي إياك . لم تكنِ
لمّا افترقنا ، على كرهٍ لفرقتها ،
أيقنتُ أنّي رهينُ الهمِّ والحزنِ

يزيد علي شعر جميل

أنشدني شداد بن عقبة جميل :

قفي تسألُ عنك النفسُ بالخطّةِ التي
نطيلين تخويفي بها ، ووعيدي
فقد طالما ، من غير شكوى قبيحة ،
رضينا بحكمٍ منك غيرٍ سديدٍ

قال : فأنشدتُ الزُّبير بن بكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف
من العراق إلا بهما لرأيتُهما غنماً .

الحديث لاسحاق .

وانشدني شداد جميل أيضاً :

بُشَيْنَ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي ، فَإِنَّمَا
يُبَيِّنُ عِنْدَ الْمَالِ كُلُّ بَجِيلٍ

فاني، وتكراري الزيارة نحوكم ،
لَبَّيْنِ يَدَيَّ هَجْرٍ بُشَيْنَ طَوِيلٍ

قال أبي : فقلتُ لشداد : فهلا أزيدك فيهما ؟

فقال : بلى .

فقلت :

فيا ليت شعري ! هل تقولين بعدنا ،
إذا نحن أزمعنا غداً لرحيلٍ

ألا ليت أياماً ، مَضَيْنَ ، رواجعُ ،
وليت النوى قد ساعدتُ بجميلٍ

فقال شداد : أحسنتَ والله ! وإن هذا الشعر لضعفٌ .

فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : نفيتَه عن نفسك بتسميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَقْ بجميلٍ ،
فضاع بينكما جميعاً .

عند اسحاق المصعبي

دعاني^١ إسحاق بن إبراهيم المصعبي^٢ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجهه إليّ فحضرت وحضر عكّويه ومخارق وغيرهما من المغنّين ؛ فبينما هم على شراهم وهم أسرّ ما كانوا ، إذ وافاه رسول أمير المؤمنين فقال : أجب .

فقال : السمع والطاعة .

ودعا بثيابه فلبسها . ثم التفت الى محمد بن راشد الحنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لِمَا يدور في المجالس ، فأحفظ لي كلّ صوت يمرّ وما يشربه كلّ إنسان ، حتى إذا عدت أعدت عليّ الأصوات وشربت ما فاتني .

فقال : نعم ، أصلح الله الأمير .

ومضى الى المأمون ، فأمره بالشخص الى بابك^٢ من غدٍ ، وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلما دخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعت فيما تقدّمت به إليك ؟

قال : قد أحكمته أعزّك الله .

١ الحديث لاسحاق .

٢ هو بابك الخرمي ، خرج على دولة بني العباس ، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا .

ثم أخبره بما شرب القوم وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن
يُجمع له أكثر ما شربه واحداً منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوت
صوت مما حفظه له حتى يستوفي ما فاتته القوم به ، ففعل ذلك وشرب
حتى استوفي النبيذ والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد
عملتُ في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها .

فقلت : هاتِها أعزَّ اللهُ الأمير .

فأنشدني :

ألا مَنْ لقلبٍ مُسلمٍ للنوائبِ ،
أحاطت به الأحرانُ من كلِّ جانبِ

تبيّنَ يومَ البين أنَّ اعترامه ،
على الصبر ، من بعض الظنون الكواذبِ

حرامٌ ، على رامي فؤادي بسهمه ،
دمٌ صبّه بين الحشى والترائبِ

أراقَ دماً ، لولا الهوى ما أراقه ،
فهل بدمي من ثأري أو مُطالبِ ؟

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قط .

فقال لي : فاصنع فيه .

فصنعت فيه لحناً ، وأحضرتني وصيفةً له ، فألقيته عليها حتى أخذته ،

وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتذكّرني به الجارية
أمرك إذا غنّته .

فكان كلما ذكر أتاني برّؤه ، الى أن قدّم ، عدّة دفعات .

بعد ان كف بصره

سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي ، فعرف أنه قد كفّ وأنه
في منزله ببغداد ، فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى
أجلسه فدام السرير ، وأعطاه مِخْدَةَ ، وقال له : بلغني أن المعتصم
دفع إليك مِخْدَةَ في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال :
إنه لا يُستجلب ما عند حرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟
فقال : نعم .

فأمر أن يُسقى . فلما شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً .
فجيء به ؛ فاندفع يغمّشي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

ما علّةُ الشيخ ، عيناه بأربعة
تَغْرَورِقَانِ بَدَمَعٍ ، ثم تَنَسَكِبُ^٢

قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوفِ علي

١ الحديث لأبي عبد الله محمد بن حمدون .

٢ عيناه بأربعة : اي تسيلان بأربعة آفاق .

الْحَيَّرَا إِلَّا وَجَدْتُهُ يَرْقُصُ طَرِيًّا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُ .
فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ قَالَ لِي الْمُتَوَكَّلُ : يَا بْنَ حَمْدُونَ ،
أَتُحْسِنُ أَنْ تَغَنِّيَنِي هَذَا الصَّوْتُ ؟

فَقُلْتُ : نَعَمْ

قَالَ : غَنِّهِ

فَتَرَنَّمْتُ بِهِ ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : مِنْ هَذَا الَّذِي يَسْخَكِينِي ؟

فَقَالَ : هَذَا ابْنُ صَدِيقِكَ حَمْدُونَ .

فَقَالَ : وَوَدِدْتُ أَنَّهُ يُحْسِنُ أَنْ يَسْخَكِينِي

فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ عَرَّضْتَنِي لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ثُمَّ أَخَذَ الْمُتَوَكَّلُ إِلَى رَقَّةٍ بُوصَرَ^٢ ؛ وَكَانَ يَسْتَطِيبُهَا لِكَثْرَةِ تَغْرِيدِ
الْأَطْيَارِ بِهَا ، فَغَنَّنِي إِسْحَاقُ :

أَنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ،

عَلَى غُصْنِ غَضِّ الشَّبَابِ ، مِنَ الرَّئِدِ

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ صَبَابَةً ،

وَشَوْقًا ، وَقَابَعْتَ الْحَيْنَ إِلَى نَجْدِ

١ الخير : قصر بسر من رأى بناه المتوكل .

٢ الرقة : كل ارض الى جنب واد ينبسط عليها الماء . بوصرا : قرية من قرى بغداد .

فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَمَلتِك بالوائق
لَمَّا غنيتَه بالصالحية^١ :

طَربتُ الى الأصيبيَّة الصَّغارِ ،
وذكَرتُني الهوى قربُ المزارِ

فكم أعطاك لَمَّا أذن لك في الانصراف ؟
قال : مائة ألف درهم .

فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف الى بغداد . وكان
هذا آخرَ عهدنا به ، لأن إسحاق توفِّي بعد ذلك بشهرين

يتطير من صوت

دخلت^٢ على الواثق أستأذنه في الانحدار الى بغداد فوجدته
مصطبجاً ؛ فقال : بحياتي غنٌّ :

ألا إنَّ أهلَ الدار قد ودَّعوا الدار ؛
وإن كان أهلُ الدار في الحيِّ أجواراً^٣
وقد تركوا قلبي حزيناً ، متيسماً ،
بذكرهم ، لو يستطيع لقد طاراً

١ الصالحية : قرية قرب الرها من ارض الجزيرة .

٢ الحديث لاسحاق .

٣ الأجوار : جمع جار وهو الذي يجاورك .

فتطيرتُ من اقتراحه له وغنيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر
لي بثلاثين ألفَ درهم وأذن لي فأنصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به
الشعر لطيع بن إياس ، والغناء لابراهيم الموصلي .

كسر الغلام الخاوية

كنت^١ في بيتي وعَلَّويه يُغَنِّينِي

أَعْرَضَنَ مِنْ شَمَطٍ فِي الرَّأْسِ لَاحَ بِهِ ،
فَهُنَّ عَنْهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ حَيْدُ^٢

قَدْ كُنَّ يَعْهَدُنَّ مِنِّي مَنظَرًا حَسَنًا ،
وَجُمَّةً حَسَرَتْ عَنْهَا الْعُنَاقِيدُ^٣

فوردتُ عليَّ رُقعةً من إسحاق الموصلي يستسقينني نبيداً ؛ فبعثتُ اليه
بدنً مع غلام لي ؛ فلما توسط الغلام به الجسرَ زحيم فكسره ؛
فرجع الغلام الى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسئلتِي التجاني عنه ؛
فكتب إليَّ :

١ الحديث لأحمد بن معاوية .

٢ الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد . حيد : ماثلات .

٣ الجملة : مجتمع شعر الرأس . حسرت : انكشفت . العناقيد : جدائل الشعر ، وفي
الكلام استعارة .

يا أحمد بن معاوية
إني رُميتُ بداهية

أشكو اليك فأشكيني
كسرَ الغلامِ الخائبة

فبعثتُ اليه بأربعة أدنان ، وأعتقتُ الغلامَ بشفاعته في أمره

صوت يعجز المغنين

قال لي حمدون بن إسماعيل ، رحمه الله :

لما صنع أبوك ، رحمه الله ، هذا الصوت :

قَفَ بالديار التي عفا القِدَمُ ،
وغيَّرتُها الأرواحُ والدَّيَمُ

لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نَسائلُها ،
فاضتُ من القومِ أعيُنُ سَجَمُ

ذَكَرًا لعيشِ مَضَى ، إذا ذَكَرْتُ
ما فات منه ، فذَكَرهُ سَقَمُ

وكلُّ عيشٍ دامتْ غضارُتُه
مُنقَلِعٌ مرَّةً ومُنصَرِمُ

أعجيب به المعتصم والواثق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردده
على مضارق وعلتويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصحهم فيه ؛ فانهم
ان أحسنوا فيه 'نسب اليك إحسانهم ، وإن أساءوا بان فضلك عليهم .
فردده عليهم أكثر من مائتي مرة ، وكانوا يقصدون الى منزله ويردده
عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمه .

الشعر والغناء لاسحاق .

غزال دير القائم

خرجنا مع الرشيد يريد الرقة ؛ فلما صيرنا بالموضع الذي يقال له
القائم نزلنا ، وخرج يتصيد وخرجنا معه ، فأبعد في طلب الصيد ؛ ولاح
لي دير فقصدته وقد تعبت ، فأشرفت على صاحبه ؛ فقال : هل لك في
النزول بنا اليوم ؟

فقلت : إي والله ، وإني الى ذلك لمحتاج .

فنزل ففتح لي الباب وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد
أدرك دولة بني أمية ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومواليهم
وجيوشهم ؛ وعرض عليّ الطعام فأجبتّه ؛ فقدم إليّ طعاماً من طعام
الديارات نظيفاً طيباً ، فأكلت منه ، وأتاني بشراب ورّيجان طريّ

١ الحديث لحماذ عن أبيه اسحاق .

فشربتُ منه ، ووَكَّلَ بي جاريةً تُخدمُني ، لم أرَ أحسنَ وجهاً منها ،
ولا أشكَلَ^١ ؛ فشربتُ حتى سكرتُ ، ونمتُ وانتبهتُ عِشاءً ؛
فقلتُ في ذلك :

بديِرُ القائمِ الأقصى ،
غزالُ شادنٍ ، أحوى^٢

بوى حُبِّي له جِسمي ،
ولا يَعْلَمُ ما ألقى

وأكتمُ حُبَّهُ جُهدي ،
ولا واللهِ ما يَخفي

وركبتُ فليحقتُ بالمعسكرِ والرشيْدُ قد جلسَ للشربِ وطلبني فلم
أوجد . وأخبرتُ بذلك ، فغشيتُ في الأبياتِ ودخلتُ إليه ؛ فقال
لي : أين كنتَ ؟ ويحك !

فأخبرته بالخبرِ وغشيتُه الصوت .

فطربَ وشربَ عليه حتى تسكِر ، وأخسرَ الرحيلَ في غدٍ ، ومضيتُنا
إلى الديارِ ونزله ، فرأى الشيخَ واستنطقه ، ورأى الجاريةَ التي كانت
تخدمُني بالأمس ؛ فدعا بطعامٍ خفيفٍ فأصاب منه ، ودعا بالشرابِ ،

١ أشكال : أدل وأغنج

٢ دير القائم الأقصى : على شاطئ الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة .

وأمر الجاريةَ التي كانت بالأُمس تخدمُني أن تتولَّى خدمته وسقيته
ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدَّير بألف دينار ، وأمر
باحتمال خراجه له سبعة سنين ؛ فرحَلنا .

قال حمَّاد : فحدثني أبي قال : فلما صرنا بتلَّ عزاز من دابق
خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قرأها ، فأقمنا بها أياماً ،
وظلَّ بني الرشيدُ فلم يجدني . فلمَّا رجعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع ؛
فقال لي : أين كنتَ ؟ طلبك أميرُ المؤمنين .

فأخبرته بسُؤزمتنا فغضب . وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ
من الفضل ؛ فقلت :

إنَّ قلبي بالتَّلِّ ، تلَّ عزازِ ،
عندَ ظبيِّ من الظُّبَّاءِ الجَوَازِي

شادنٍ يسكنُ الشَّامَ ، وفيه ،
مع ظرفِ العراقِ ، شكُلُ الحِجَازِ

يا لِقَومِي لبنتِ قَسِّ أصابتُ
منك صفوَ الهوى ، وليست تُجَازِي

حلَّفتُ بالمسيحِ أن تُنَجِّزَ الوعدَ ،
وليستُ تَهْهُمُ بالإنجَازِ

١ دابق : قرية قرب حلب .

وَعَنَيْتُ فِيهِ ؛ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ مُنْقَضِبٌ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ طَلَبْتُكَ فَلِمَ أَجِدُكَ .

فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنْشَدْتُهُ هَذَا الشَّعْرَ وَعَنَيْتَهُ إِيَّاهُ ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : عَذْرٌ وَأَبِيكَ وَأَيُّ عَذْرٍ !

وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ وَيَسْتَعِيدُنِيهِ لَيْلَتَهُ جَمْعَاءَ حَتَّى انْصَرَفْنَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى رَحْلِي إِذَا بِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَانَا يَدْعُونَا ؛ فَوَافَيْتُ فِدَخَلْتُ ، وَإِذَا ابْنُ جَامِعٍ يَتَمَرَّغُ عَلَى دُكَّانٍ فِي الدَّارِ وَهُوَ سَكْرَانٌ يَتَمَلَّمُ ؛ فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ الْمُوصِلِيِّ ، أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِنَا ؟

فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي .

فَقَالَ : لَكُنِّي وَاللَّهِ أَدْرِي دِرَايَةً صَحِيحَةً ، جَاءَتْ بِنَا نَصْرَانِيَّتُكَ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ .

وَخَرَجَ الْآذَنُ فَأَذِنَ لَنَا ، فِدَخَلْنَا . فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّشِيدَ تَبَسَّمْتُ ؛ فَقَالَ لِي : مَا يُضْحِكُكَ ؟

فَأَخْبَرْتَهُ بِقَوْلِ ابْنِ جَامِعٍ .

فَقَالَ : صَدَقَ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَقَدْتُمْكُمْ فَاسْتَقْتُمْ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ ، فَعُودُوا بِنَا ؛ فَعُدْنَا فِيهِ حَتَّى انْقَضَى مَجَاسِنَا وَانْصَرَفْنَا .

يَدْخُلُ عَلَى الرَّشِيدِ مَغْنِيًّا

دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فِي عِمَامَةٍ قَدْ كَوَّرْتُهَا عَلَى رَأْسِي ؛ فَقَالَ :

ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار .

فلما كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنثون جميعاً
قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بمشدّة حرير
أحمر ، ولبستُ لباساً مُشتمراً ، وأخذتُ بيدي صفاقتين وأقبلتُ
أخطير وأضرب بالصفاقتين وأغنّي :

إسمعُ لصوتٍ ملبحٍ ،
من صنعة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ، ظريفٍ ،
يطيرُ في الأوتارِ

فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي !
أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما
استعاد غيره ، وأمر لي بعشرين ألف درهم

عند الفضل بن الربيع

حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ،
فغنّي بعضُ مَنْ كان عنده :

كلُّ شيءٍ منك ، في عيني ، أحسنُّ ،
ونصيبي منك همٌّ وحزَنٌ

لا تَظُنُّنِي أَنَّهُ غَيَّرَنِي ،
قِدَمُ الْعَهْدِ وَلَا طَوْلُ الزَّمَنِ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟

فقلت : لبعض الطُّشْبُورِيِّين .

فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق .

شعره في جارية سقته

لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى طُوسٍ كُنْتُ مَعَهُ أُسَيرُهُ ، فَاسْتَسْقَيْتُ
مَاءً مِنْ مَنْزِلٍ نَزَلْنَاهُ يُقَالُ لَهُ سَحْنَةٌ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْنَا جَارِيَةً كَأَنَّهَا
ظَمِيَةٌ ، فَسَقَّتَنِي مَاءً ، فَقُلْتُ هَذَا الشَّعْرُ :

غَزَالٌ يَرْتَعِي جَنْبَاتِ وَادٍ ،

بِسَحْنَةٍ ، قَدْ تَمَكَّنَ فِي فَوَادِي

سِقَانِي شَرِبَةً كَانَتْ شِفَاءً

لِعَمَلَةِ حَائِمِهِمْ ، حَرَّانَ صَادِي

وَعَنَيْتَهُ الرَّشِيدَ ، فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَرْوِّجَكَهَا ؟

فقلتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي .

قال : فَاخْطُبِهَا وَالْمَهْرُ عَلَيَّ وَمَا يُصْلِحُهَا .

فخطبتُها ، فَأَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُخْرِجُوهَا مِنْ بِلَدِهِمْ .

سواط يدعي صوتاً له

قال لي أبي^١ : ما اغتممت بشيء قطُّ مثلما اغتممت بصوتٍ
مليحٍ صنعته في هذا الشعر :

كان لي قلبٌ أعيشُ به ،
فاكتوى بالنارِ فاحترقاً

أنا لم أرزقُ محببتِها ،
إنما للعبد ما رزقاً

من يکن ما ذاقَ طعمَ ردِّي ،
ذاقه لا شكَّ إن عَشِقاً

فإني صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أردده في جناحٍ لي سحراً ؛ فأظنُّ
أن إنساناً من العامة مرَّ بي فسمعه فأخذه ؛ فبكرتُ من غدٍ
إلى المعتصم لأغنيته ، فإذا أنا بسواط يسوط^٢ الناطف^٣ وهو يغني
للحن بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : ترى من أين لهذا
السواط هذا الصوت ! ولعلِّي إذ غنيته أن يكون قد مرَّ بي هذا
فسمعني أغنيته ؛ وبقيتُ متحيراً

١ الحديث لحماد بن اسحاق .

٢ يسوط : يخالط .

٣ الناطف : ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استغرابه ، أي يقطر قبل خثورته .

ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟
فلم يجبني والتفت الى شريكه ، وقال : هذا يسألني ممن سمعته !
هذا غنائي ، والله لو سمعه إسحاق الموصلي ... في سراويله ؛ فبادرتُ والله
هارباً خوفاً أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضح ؛ وما
علم الله أني نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

مدحه جعفر بن يحيى

دخلتُ^١ يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى سقتي تتحركان بشيء
كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تصنع ماذا ؟

فقلتُ : بل أمدح

قال : قل .

فقلت :

و كنتُ ، اذا إذنٌ عليك جرى لنا ،

تجلّى لنا وجهٌ أغرٌ ، وسيمٌ

علانيّةٌ محمودةٌ وسريّةٌ ،

وفعلٌ يسرُّ المعتفينَ كريمٌ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوةٍ ، وقال : زدِ البيتين حسناً بأن
تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً ؛ فلم يزل يشربُ عليهما حتى سكر .

١ الحديث لاسحاق .

يدخل الى بيت متطفلاً

غدوت يوماً وأنا ضَجِيرٌ من ملازمةِ دارِ الخِلافةِ والخدمةِ فيها؛
فخرجتُ وركبتُ بكرةً^١، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ
وأفترِّجَ؛ فقلتُ لفلانِي: إن جاء رسولُ الخليفةِ أو غيرهُ فعرّفوه أني
بكرتُ في بعضِ مهمّاتي، وأنكم لا تعرفون أين توجّهتُ.

ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عدتُ وقد حميَ النهارُ؛ فوقفتُ
في الشارعِ المعروفِ بالمخرمِ^٢ في فناءٍ تُخينُ الظلَّ وجناحٍ رَحْبٍ على
الطريقِ لأستريحَ. فلم ألبثُ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارهاً عليه
جاريةٌ راكبةٌ، تجتهدُ منديلَ ديبقي^٣ وعليها من اللباسِ الفاخرِ ما لا
غايةَ بعده، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمايلاً حسنةً؛
فخرّصتُ^٤ عليها أنها مُغنيّةٌ، فدخلتِ الدارَ التي كنتُ واقفاً عليها.
ثم لم ألبثُ أن جاء رجلانِ شابَّانِ جميلانِ، فاستأذنا فأذنَ لهما
فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظننا أن صاحبَ الدارِ دعاني وظنُّهُ
صاحبُ الدارِ أني معهما.

فجلسنا، وأتيتُ بالطعامِ فأكلنا وبالشرابِ فوضّيعُ، وخرجتُ الجاريةُ

١ الحديث لاسحاق .

٢ المخرم : محلة في بغداد بالجانب الشرقي

٣ ديبقي : نسبة الى دبيق ، بليدة في مصر

٤ خرّصت : ظننت وخمنت

وفي يدها عودٌ ففَضَّتْ وشربنا؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحبُ المنزل
الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني .

فقال : هذا طَفَيْلِي ، ولكنه ظريفٌ ، فأجملوا عِشْرَتَهُ . وجئتُ
فجلستُ ، وغنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنِ ،
أَمَامَ الْمَطَايَا ، تَشْرِيْبُ وَتَسْنَحُ

من المؤلِّفاتِ الرملِ ، أدماءُ ، حُرَّةٌ ،
شُعاعُ الضحى ، في مَتْنِهَا ، يَتَوَضَّحُ

فأدَّتْهُ أداءً صالحاً وشَرِبَتْ . ثم غنَّتْ أصواتاً شتى ، وغنَّتْ في

أضعافها من صنعتي :

الطُّلُولُ الدَوَارِسُ ،

فَارَقَتْنَهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحِشْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا ،

فَهِيَ قَفَرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأول . ثم غنَّتْ أصواتاً من

القديم والحديث ، وغنَّتْ في أثنائها من صنعتي :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ،

وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا

قد بلغت الذي أردت ،
وإن كنت لأعيبا

فكان أصلح ما غنّته ؛ فاستعدّته منها لأصحّحه لها ؛ فأقبل عليّ
رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طفيلياً أصفقَ وجهاً منك ! لم
ترضَ بالتطفيل حتى اقترحتَ ، وهذا غايةُ المثل « طفيليّ مقتسرح » .
فأطرقْتُ ولم أُجِبه ؛ وجعل صاحبه يكفّهُ عنّي فلا يكفُّ .
ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً ، فأخذتُ عودَ الجارية ، ثم شددتُ
طبقتَه وأصلحتهُ إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ الى موضعي فصلّيتُ ،
وعادوا ؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عرْبَدتهِ عليّ وأنا صامت .
ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجسّتهُ وأنكرتُ حاله وقالت : مَنْ
مَسَّ عُوْدِي ؟

قالوا : ما مسّه أحدٌ !

قالت : بلى ! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّمٌ وشدّ طبقتَه وأصلحه
إصلاحَ مُتمكّنٍ من صناعته .
فقلتُ لها : أنا أصلحتهُ .

قالت : فبالله خذه واضرب به .

فأخذتهُ وضربتُ به مبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صعباً ، فيه نقراتٌ
محرّكةٌ ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثبَ على قدميه وجلس بين يدي ؛
ثم قالوا : بالله يا سيّدنا اتغنّي ؟

فقلتُ : نعم ، وأَعَرِّفُكُمْ نَفْسِي ، أَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ،
وَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتِيهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا طَلَبَنِي وَأَنْتُمْ تُسْمِعُونَنِي مَا أَكْرَهُ مِنْذُ
الْيَوْمِ لِأَنِّي تَمَلَّحْتُ مَعَكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَا نَطَقْتُ بِجَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ
حَتَّى تُخْرِجُوا هَذَا الْمُعْرَبِيدَ الْمُقْبِتَ الْفَثَّ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مِنْ هَذَا حَذِرْتُ عَلَيْكَ ؛ فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ ؛ فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَا نَطَقْتُ بِجَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ حَتَّى يُخْرِجَ ؛ فَأَخَذُوا بِيَدِهِ
فَأَخْرَجُوهُ وَعَادُوا . فَبَدَأَتْ وَغَنَّتْ الْأَصْوَاتُ الَّتِي غَنَّتْهَا الْجَارِيَةُ مِنْ
صَنْعَتِي ؛ فَقَالَ لِي الرَّجُلُ : هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ ؟

قُلْتُ : مَا هِيَ ؟

قَالَ : تُقِيمُ عِنْدِي شَهْرًا ، وَالْجَارِيَةُ وَالْحَمَارُ لَكَ مَعَ مَا عَلَيْهَا
مِنْ حُلِيِّ .

قُلْتُ : أَفْعَلُ .

فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا لَا يَدْرِي أَحَدٌ أَنِ أَنَا ، وَالْمَأْمُونُ يَطْلُبُنِي
فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَلَا يَعْرِفُ لِي خَبْرًا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَسْلَمَ
إِلَيَّ الْجَارِيَةَ وَالْحَمَارَ وَالْحَادِمَ ؛ فَجِئْتُ بِذَلِكَ إِلَى مَنْزِلِي ، وَرَكِبْتُ
إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ وَقْتِي ؛ فَلَمَّا رَأَى قَال : إِسْحَاقُ ! وَيْحَكَ ! أَنِ تَكُونُ !
فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي .

فَقَالَ : عَلِيٌّ بِالرَّجْلِ السَّاعَةَ .

فَدَلَّلْتُهُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَأَحْضِرَ ؛ فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ ؛

فقال له : أنت رجل ذو مروءةٍ وسبيلك أن تُعاوَنَ عليها ؛ وأمر له
بمائة ألف درهم .

وقال : لا تُعاشرَنَّ ذلكَ المعريدَ النذَلَ البتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين
ألف درهم .

وقال : أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضرتُها ففغنته ؛ فقال لي : قد جعلتُ
لها نوبةً في كلِّ يومٍ ثلثاء تُغَنِّيني وراءَ الستارةِ مع الجوّاري ؛ وأمر
لها بخمسين ألف درهم . فربّحتُ والله بتلك الرّكبةِ وأربّحتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنِ ،
أَمَامَ الْمَطَايَا ، تَشْرَبُ وَتَسْنَحُ

مِنَ الْمُؤَلِّفَاتِ الرَّمْلِ ، أَدْمَاءُ ، حُرَّةٌ ،
شُعَاعُ الضُّحَى ، فِي مَتْنِهَا ، يَتَوَضَّحُ

الشعرُ لذي الرُّمَّةِ ، والغناءُ لاسحاق .

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا ،
وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ ،
وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا

الشعرُ والغناءُ لاسحاق . وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ ،
فَارَقَتْهَا الأَوَانِسُ ،
أَوْحِشْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا ،
فَهِ قَفَرٌ بَسَابِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق .
والغناء لإسحاق . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائمه .

الواثق يعجب بصوته

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلبِّي قال :
كنتُ عند الواثق ؛ ففغنته « شجى » التي وهبها له إسحاق هذا
الصوت . فقال لمخارق وعلويه : والله لو عاش مَعْبُدُهُ ما شقَّ غبارَ
إسحاق في هذا الصوت .

فقالا له : إنه لحسنٌ يا أمير المؤمنين .

فغضب وقال : ليس عندكم فيه إلا هذا !

ثم أقبل على أحمد بن المكِّي فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛
أوّل بيت في هذا الصوت أربعُ كلمات : « الطلول » كلمة ، و « الدوارس »
كلمة ، و « فارقتها » كلمة ، و « الأوانس » كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاق
شيئاً من الصنعة يتصرّف فيه المغنِّي لم يُدخِله في هذه الكلمات الأربع !
بدأ بها نشيداً ، وتلاه بالبيسط ، وجعل فيه صياحاً ، وإسجاحاً ،

وترجيحاً لأنفسهم ، واختلاصاً فيها ، وعميلَ هذا كله في أربع كلمات .
فهل سمعت أحداً تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟
فقال : صدق أمير المؤمنين ، قد لحق من قبله وسبق من بعده .

شعره في دير مريم

لما خرجت^١ مع الواثق الى النجف درنا بالحيرة ومرونا بدياراتها ؛
فرايت^٢ دير مريم بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحسنُ بنائه ؛ فقلت :

نعمَ المحلُّ ، لمن يسمي للدّته ،
ديرٌ لمريم ، فوقَ الظهر معمورٌ

ظليلٌ ظليلٌ ، وماءٌ غيرُ ذي أسنٍ ،
وقاصراتٌ كأمثالِ الدّمي حور^٣

فقال الواثق : لا نصطبّيحُ والله غداً إلا فيه .

وأمر بأن يُعدّ فيه ما يصلحُ من الليل . وباكرناه فاصطبّحنا فيه
على هذا الصوت ؛ وأمر بمالٍ ففرّق على أهل ذلك الدير ، وأمر
لي بجائزة .

١ الحديث لاسحاق .

٢ دير مريم او دير مارت مريم : دير قديم بناه آل المنذر بين الخورنق والسدير وبين قصر
أبي الحبيب يشرف على النجف .

٣ القاصرات : اللواتي لا يمددن عيونهن الى غير بعولتهن .

عند عبد الله بن طاهر

أخرج^١ إليَّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتيَّ شعريَّ في رُقعةٍ وقال :
هذان البيتان وجدتهما على بيساطٍ طبريٍّ أصبهبُذِيٍّ أهدي إليَّ
من طبرستانَ ، فأحبُّ أن تُغَنِّيَ فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هُما :

لجَّ بالعينِ واكفُ ،
مِنْ هَوَى لا يُساعِفُ

كلِّما كفَّ غرْبُها ،
هَيَّجَتْهُ المَعازِفُ^٢

قال : فغَنَّيتُ فيهما وغَدَوْتُ بهما إليه ، فأعجِبَ بالصوتِ ووصلاني
بصلةٍ سنِيَّةٍ ، وكان يَشْتَهيه وَيَقْتَرِحُه ، وطرحته على جميعِ جوارِيه ،
وشاع خبرُ إعجابِه به . فبينا المَعْتَصِمُ يوماً جالسٌ يُعَرِّضُ عليه فرشُ
الربيعِ ، إذ مرَّ به بيساطُ ديباجٍ في نهايةِ الحِسنِ عليه هذان
البيتانِ ومعهما :

إنما الموتُ أن تفارقَ
مَنْ أَنْتَ آليْفُ

١ الحديث لاسحاق .

٢ الغرب : الدمع .

لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفُؤَادِ ،
تَلِيْدٌ وَطَارِفٌ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِلَ الى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل
له : إني قد عرفتُ شغفك بالفناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط
أحببتُ أن أُتيمَّ سرورك به .

فشكر عبدُ الله ما تآدى اليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقداره ،
وقال لي : والله يا أبا محمد لسُروري بتمام الشعر أشدُّ من سروري
بكل شيء ، فألحقهما في الفناء بالبيتين الأولين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

لَجَّ بِالْعَيْنِ وَاكْفُ ،
مِنْ هَوَى لا يُسَاعِفُ

كَلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا ،
هَيْبَتُهُ الْمَعَارِفُ

إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تَفَارِقَ
مَنْ أَنْتَ آلِفُ

لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفُؤَادِ ،
تَلِيْدٌ وَطَارِفٌ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرته في هذا الخبر .

عدد اصواته

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن ابن المكي عن أبيه قال :
قلت لاسحاق يوماً : يا أبا محمد ، كم تكون صنعتك ؟
فقال : ما بلغت مائتين قط .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق قال :
قال لي وكييل بن الحارونيّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد ،
كم يكون غناؤك ؟
قال : نحواً من أربعمئة صوت .

قال : وقال له رجل بحضرتي : ما لك لا تكثر الصنعة كما
يكثر الناس ؟
قال : لأنني إنما أنقر في صخرة

مرضه ووفاته

وتوفي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكل . فأخبرني الصّولي قال :
ذكر إبراهيم بن محمد الشّاهيني :

أنّ إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليّه بالقولنج^١ لما رأى من

١ القولنج : مرض معوي مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريح

صعوبته على أبيه ، فرأى في منامه كأنه قائلاً يقول له : قد أُجِبت ، دعوتك ولست تموت بالقولنج ، ولكنك تموت بضده ، فأصابه ذرَبٌ^١ في شهر رمضان سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين ، فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ، ثم ضعف عن الصوم فلم يُطِقه ومات في شهر رمضان .

نعيه الى المتوكل

نُعي إسحاق الى المتوكل في وسط خلافته ، فغمّه وحزن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته . ثم نُعي اليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الخالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد ، وما كنت آمنٌ وثبنته علي ، مقام الفجيرة بإسحاق ، فالحمد لله على ذلك !

رأيت^٢ فيما يرى النائم قائلاً يقول لي :

مات الحُسنان ابن الحُسنان ،
ومات إحسانُ الزمانِ

١ الذرَب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام ، ويفسد فيها فلا تمسكه

٢ الحديث لرجل من قطربل .

فأصبحت من غد فر كبت في بعض حوائجي ، فتلقاني خبر وفاة
اسحاق الموصلي .

مراثي الشعراء فيه

وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

سقى الله ، يا بن الموصلي ، بوابيل
من الغيث ، قبراً ، أنت فيه مُقيمٌ

ذهبت فأوحشت الكرام ، فما ينبي
بعبثته ، يبكي عليك كريم

الى الله أشكو فقد إسحاق ، إنني ،
وإن كنت شيخاً بالعراق ، يتيمٌ

وقال محمد بن عمر الجرجاني يرثيه :

على الجَدثِ الشرقيِّ عُوجاً ، فسلمما
ببغداد ، لما صنَّ عنه عوائدُه

وقولاً له : لو كان للموت فديةٌ ،
فَدَاكَ ، من الموت ، الطَّريفُ وتاليدُه

إسحاقُ لا تبعد ! وإن كان قد رمى
بك الموتُ ورداً ، ليس يصدُرُ واردهُ

إذا هزل انخضرت فنون حديته ،
ورقت حواشيه ، وطابت مشاهدته

وإن جدّ كان القولُ جدّاً ، وأقسمتُ
مخارجهُ إلاّ تلبّن معاقبته

فبكّ على ابن الموصليّ بعبرة ،
كما ارفضّ من نظم الجمان فرائده

وقال مصعب بن عبد الله الزبيريّ يرثيه :

أتدري لمن تبكي العيون الذّوارف ،
وينهلّ منها واكف ، ثم واكف ؟

نعم لامرئ لم يبقَ في الناس مثله ،
مفيدٌ لعلم ، أو صديقٌ لملاطف

تجهزَ إسحاقٌ إلى الله غادياً ،
فله ما ضمت عليه الفائف

وما حمل النعش المزجّي ، عشيةً ،
إلى القبر ، إلا دمع العين لاهيف

صدورهم مرضى ، عليه عميدة^١ ،
لها أزمه^٢ ، من ذكره ، وزفازف^٣

ترى كلَّ محزونٍ تفيض جفونُه
دموعاً ، على الجدين ، والوجه شاسف^٢

جزيتَ جزاءَ المحسنين مضعفاً ،
كما كان جدواك الندى المتضاعف

فكم لك فينا من خلائقَ تجزلة^١ ،
سبقتَ بها منها حديثٌ وسالف

هي الشهد ، أو أحلى الينا حلاوة^١
من الشهد ، لم يمزج به الماء غارف

ذهبتَ وخلصيتَ الصديقَ بعولة^١ ،
به أسف^٢ ، من حزنه ، متوادل

إذا خطراتُ الذكر عاودنَ قلبه ،
تتابع منهنَّ الشؤونُ النوازف^٣

١ ازمة : ضيق وشدة . و اراد بالزفازف الزفرات حزناً عليه

٢ الشاسف : اليبس .

٣ الشؤون : الدموع . النوازف : الفانيات لكثرة سيلانهن

حبيب^١ الى الإخوان، يرزون ماله،
 وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارف^١
 هو المنّ والسُّوى لمن يستفيدة ،
 وسم^٢، على من يشرب السمَّ، زاعِف
 بكت داره من بعده ، وتنكّرت^٢
 معالمُ ، من آفاقِها ، ومعارف
 فما الدار بالدار ، التي كنت أعتري ،
 وإني بها ، لولا افتقادِيك ، عارف
 هي الدار ، إلا أنها قد تخشعت^٢ ،
 وأظلمَ منها جانب^٢ ، فهو كاسِف
 وبن الجمال^٢ والفعال ، كلاهما ،
 من الدار واستنّنت^٢ عليها العواصف^٢
 خلّت داره من بعده ، فكأنما
 بعاقبةٍ لم يُغنِ ، في الدار ، طارف
 وقد كان فيها للصديقِ مُعرّس^٣ ،
 وملمّس^٣ إن طاف بالدار طائف^٣

١ يرزون ، سهل يرزأون : بصيون ماله

٢ استنت : انصبت .

٣ المعرس : مكان نزول القوم ليلاً للاستراحة من السفر .

كرامة' إخوان الصِّفاء، وزُلفة^١
لمن جاء تزجيه إليه الرُّواجف^٢
صحابته الفُرَّ الكرام، ولم يكن
ليصْحبه السُّود اللئام المقارِف^٣
يؤول إليه كلُّ أبلَجٍ شامخٍ،
ملوكٌ وأبناء الملوكِ الغطارِفِ،
فلقَّيتَ في يميني يديك صحيقةً،
إذا نُشرتْ يومَ الحسابِ الصحائفُ،
يسرُّ الذي فيها إذا ما بدا له،
ويفتترُّ منها ضاحكاً، وهو واقفٌ
بما كان ميموناً على كلِّ صاحبٍ،
يُعين على ما نابه ويكازِف^٣
سريعٌ إلى إخوانه برضائه،
وعن كلِّ ما ساء الأخلَاءَ صارِفِ

١ الزلفة : القربة . تزجيه : تدفعه . الرواجف : المخاوف . يريد انه يقرب من تدفعه اليه
المخاوف ليسري عنه .
٢ المقارِف : الأندال .
٣ يكازِف : يعاون .

أرى الناسَ كالنَّسْناسِ لم يبقَ منهمُ ،
خلافك ، إلا حُشوةٌ وزعانفُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيوبَ لأحمد بن إبراهيم يرثي
إسحاق في قصيدة له :

لقد طاب الحِمَامُ ، غداةَ ألوى ،
بنفسِ أبي محمدٍ ، الحِمَامُ
فلو قبيلَ الفداءِ ، إذاً فدتهُ
ملوكٌ ، كان يالفُها ، كرامُ

فلا تبعدُ ! فكلُّ فتى سيثوي ،
عليه التُّرْبُ يُحسَى والرَّجامُ^٢

قال وقال أيضاً يرثيه :

لله أيُّ فتى ، الى دارِ البَيْلى ،
حملَ الرجالُ ضحى على الأعوادِ

كم من كريمٍ ما تجفُّ دموعُهُ ،
من حاضرٍ يبكي عليه ، ويادِ

١ النسناس : خلق في صورة الناس . الحشوة : الارذال . الزعانف ، واحدها زعنفة :
الردل ، الدون ، الخيس .
٢ الرجام : الحجارة التي تجمع على القبور .

أَمْسَى يُؤَبِّنُهُ ، وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ ،
مَنْ كَانَ يَتْلِبُهُ مِنَ الْحُسَّادِ
فَسَقَّتْكَ يَا بْنَ الْمُوصَلِيِّ رَوَائِحُ ،
تُرْوِي صَدَاكَ بِصَوِّهَا وَعُغْوَادِ

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

أَلَا قَاتَلَ اللهُ اللُّوَى مِنْ حَلَّةٍ ،
وَقَاتَلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ذَلَّتِ
غَنِينَا زَمَانًا بِاللُّوَى ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ
عِرَاصُ اللُّوَى ، مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتِ

الشعرُ للصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ ، وَالغِنَاءُ لِإِسْحَاقِ .

اسحاق الموصلي

٥	.	.	نسبه وكنيته - موضعه من العلم والادب
٦	.	.	روايته للحديث
٧	.	.	تصحيحه لأجناس الغناء
١٠	.	.	ام اسحاق وجنسها - منهاج دراسته
١١	.	.	زلزل يعلمه - تقدير ابن عائشة والمأمون له
١٢	.	.	تقصيه للحديث
١٣	.	.	اسحاق والضرير - من ماله ومن أدبه
١٤	.	.	يرث الشعر من جرير
١٥	.	.	بذله المال لزلزل - اجازته لبيت اربجبالا
١٧	.	.	اسحاق والأعرابي - دقة فهمه للغناء
١٩	.	.	يعجب بشعره
٢٠	.	.	سبب توليه خازماً - المعتصم يمتحنه بصوت
٢١	.	.	لحن رومي في شعر عربي
٢٢	.	.	يقدم زلزلا على ملاحظ
٢٦	.	.	بخله بالغناء
٢٧	.	.	يهزأ بابراهيم بن المهدي
٢٩	.	.	يفهم الخطأ بين ثمانين وترأ
٣٠	.	.	اسحاق من نعم الملك
٣١	.	.	قاضي القضاة واسحاق
٣٢	.	.	منزله عند الواثق - تفوقه في فنه
٣٣	.	.	اغاضته لابراهيم بن المهدي
٣٥	.	.	الصديق الرديء
٣٧	.	.	ابن المهدي يسرقه
٣٩	.	.	مناظرته لابن المهدي عند المعتصم

٤٠	.	.	.	يتغنى بشعر ذي الرمة
٤١	.	.	.	غلاما ابن الرشيد
٤٤	.	.	.	كان في ندماء الواثق
٤٥	.	.	.	هو وابن المهدي عند الرشيد
٥٠	.	.	.	يفغي الرشيد ويناديه
٥٣	.	.	.	ينادم ابن عائشة
٥٤	.	.	.	هدية وشعر - يودع شعر
٥٥	.	.	.	مكتبته السيارة
٥٦	.	.	.	شعره في المعتصم
٥٨	.	.	.	في مقدمه من غزاته
٦٠	.	.	.	لحن لاسحاق صعب
٦١	.	.	.	يبني لحنه على الاذان - هديته لابراهيم بن المهدي
٦٢	.	.	.	مجاورته لعلويه
٧١	.	.	.	يشهد له بالصنعة
٧٣	.	.	.	يبكي شبابه
٧٤	.	.	.	اخفاق المغنين
٧٦	.	.	.	يحيز للمعتصم شعراً
٧٧	.	.	.	غضب الأمين عاينه
٧٨	.	.	.	الأصمعي وشعر اسحاق
٧٩	.	.	.	معنى سبق اليه
٨٠	.	.	.	حوار لطيف
٨١	.	.	.	اسحاق وابن الربيع
٨٢	.	.	.	ينحل شعره الاعراب
٨٤	.	.	.	الرشيد يعجب بشعره
٨٦	.	.	.	شعره في حفيد ابن الربيع
٨٧	.	.	.	عبادته لابن الربيع - يسترضي شعر
٩٠	.	.	.	يسقط المغنين
٩١	.	.	.	تخنيته في الغناء - المغنون في غيابه - غضب المأمون عاينه
٩٢	.	.	.	أبو الأشعث يعجب به - اسحاق وزهراء الكلابية

٩٣	يطرب المعتصم
٩٤	اول جائزة من الرشيد
٩٥	ساق قبيح الوجه
٩٦	زهراء الكلابية تناشده
٩٧	يكتم قصة أشار اليها
٩٨	ابن الاعرابي يعجب به - الأول والآخر
٩٩	يتهم بالانتحال
١٠٣	حديثه بشأن الأهزاج - غناؤه ابن طاهر
١٠٥	مهاجراته محمد بن راشد
١١١	الثناء عليه
١١٢	يعني المأمون
١١٣	مدحه عند الواثق
١١٤	يعجب بغناء خباز
١١٥	يستحسن أصواته من غيره
١١٨	يبين يدي المعتصم
١١٩	دقته في الوصف
١٢٠	يتبرم باسم مغن - لحن على لحن اذان - حفظه للاهزاج
١٢١	ذل المغنين له - خلاف على النرد
١٢٣	شكاية المأمون اليه
١٢٤	مدح اعرايية له
١٢٥	معاتبته لمهاجر له - صدقه في الأخبار
١٢٦	يخطي علويه
١٢٧	حواره مع علويه
١٢٩	ابن طاهر يمدحه
١٣٠	الواثق يأخذ لحنه
١٣١	يضرب على عود مشوش
١٣٣	يوم لدن الطرفين - الواثق يخلع عليه
١٣٤	يشتاق الى بغداد
١٣٥	طيب هواء النجف

١٣٧	لحنه ولحن الوراق
١٤١	مخارق يكيدده
١٤٢	بينه وبين الوراق
١٤٥	ابن عياش وذو الرمة
١٤٦	أيهما أجود ؟
١٤٧	ابن المعتز يفضل الوراق - يعرض صنعته على اسحاق - آخر صوت صنعه
١٤٨	شعر أبي القنافذ
١٥٠	يطلب نبيذاً - ليس تسرق لحنه
١٥٢	جائزة الأمين
١٥٣	الوراق يعجب بجوابه
١٥٤	بيت يزداد على لحنه - ينشد مروان شعره
١٥٥	يسكر على شعر
١٥٦	حكاية بساط الفضل
١٥٧	مناظرته لأبيه
١٥٨	شعره في الوراق - داليتيه في الوراق
١٥٩	الناس حمير
١٦٠	يرقص ويفني الرشيد
١٦٢	يرجع عن توبته - تعصبه للقدماء
١٦٣	صنعه وغناؤه
١٦٥	يشبه صوتاً له
١٦٦	هو وابن معاذ والأمين
١٦٩	ذكرى الصبا - حكم على لحن له
١٧٠	سبب ضعف بصره
١٧١	اسحاق وابن أخي سلامة
١٧٣	أخذ بلحيته ويبيكي
١٧٤	المأمون والغناء
١٧٥	غناء يخالط الروح
١٧٦	يتهادون صوته
١٧٧	الفارس الموصلي - اسحاق وحمزة الزيات

١٧٨	.	.	.	شعر فيه - يهجو الاصمعي ويسكنه
١٨٠	.	.	.	الاصمعي القردي
١٨٣	.	.	.	وصيفة الواثق
١٨٤	.	.	.	الواثق خاثر النفس
١٨٥	.	.	.	الموصلي والمأمون
١٨٦	.	.	.	يفضله ويعظمه
١٨٧	.	.	.	الفراغ والشباب والجددة - يعشق غلامه
١٨٨	.	.	.	جنون أبي البصير - الرشيد ينهيه
١٨٩	.	.	.	المرسلات عرفاً - شعر في البرامكة
١٩٠	.	.	.	يسترضي المأمون بشعر
١٩١	.	.	.	صباح عند الواثق
١٩٦	.	.	.	اشعار في الفروسية
١٩٧	.	.	.	يعجبه غناء ملاحظ
١٩٩	.	.	.	الرشيد يزجره
٢٠٠	.	.	.	في مجلس المعتصم
٢٠١	.	.	.	غناء بلحن اسحاق
٢٠٢	.	.	.	يعارض ابن سريج
٢٠٣	.	.	.	يصوب قول المعتصم
٢٠٤	.	.	.	الهنج القديم - اسحاق الماكر
٢٠٥	.	.	.	ينشد الاعراب شعره
٢٠٧	.	.	.	المغنون يتلاشون امامه
٢٠٨	.	.	.	شعره في الشيب - يتكهنون عن غائب
٢١٠	.	.	.	سفينة محمد المخاوع
٢١١	.	.	.	يتشوق الى اهله
٢١٢	.	.	.	جعفر البرمكي والهاشمي
٢١٦	.	.	.	ابوه يعجب بلحنه
٢١٧	.	.	.	لا رواية ولا دراية - رثاؤه هشيمة الخمارة
٢١٨	.	.	.	خاتم الكرام - تشاغله عن دعوة
٢٢٠	.	.	.	يعاتب ابن هشام - عودته من البصرة

٢٢١	يزيد على شعر جميل
٢٢٣	عند اسحاق المصممي
٢٢٥	بعد ان كف بصره
٢٢٧	يتطير من صوت
٢٢٨	كسر الغلام الخائبة
٢٢٩	صوت يعجز المغنين
٢٣٠	غزال دير القائم
٢٣٣	يدخل على الرشيد مغنياً
٢٣٤	عند الفضل بن الربيع
٢٣٥	شعره في جارية سقته
٢٣٦	سواط يدعي صوتاً له
٢٣٧	مدحه جعفر بن يحيى
٢٣٨	يدخل الى بيت متطفلاً
٢٤٣	الواثق يعجب بصوته
٢٤٤	شعره في دير مريم
٢٤٥	عند عبد الله بن طاهر
٢٤٧	عدد أصواته - مرضه ووفاته
٢٤٨	نعمه الى المتوكل
٢٤٩	مراثي الشعراء فيه

قطوف الاغانى

الكتب التي صدرت من هذه المجموعة

بشار بن برد

مجنون بني عامر (مجنون ليلى)

جرير

عمر بن أبي ربيعة

أبو العتاهية

الوليد بن يزيد

ليلى الاخيلية وتوبة - عائشة بنت طلحة - الحارث الميخزومي

سلامة القس - جميلة المغنية - متيم الهشامية

قيس بن ذريح - وضاح اليمن

ابراهيم الموصلي

إسحاق الموصلي